

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( تفسير سورة سبحان وهي مكية )

قال الإمام الحافظ الثقفن أبو عبد الله محمد بن إسحاق البخاري : حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم : إنهن من العتاق الأول وهن من تلامي . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد بن زيد عن مروان عن أبي لابة سمعت عائشة تقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى تقول ما يريد أن يفطر ، ويفطر حتى تقول ما يريد أن يصوم وكان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمزم .

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ )

يعبد تعالى نفسه ، ويعظم شأنه ، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه ، فلا إله غيره ولا رب سواه ، ( الذي أسرى عبده ) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ( ليلاً ) أي في جنح الليل ( من المسجد الحرام ) وهو مسجد مكة ( إلى المسجد الأقصى ) وهو بيت المقدس الذي يبلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلهم ودارهم فدل على أنه هو الإمام الأعظم ، والرئيس المقدم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . وقوله تعالى ( الذي باركنا حوله ) أي في الزروع والثمار ( لزيه ) أي محمداً ( من آياتنا ) أي العظام كما قال تعالى ( لقد رأى من آيات ربه الكبرى ) وسنذكر من ذلك ما وردت به السنة من الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم ، وقوله تعالى ( إنه هو السميع البصير ) أي السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم ، مصدقهم ومكذّبهم ، البصير بهم فيعطى كلا منهم ما يستحقه في الدنيا والآخرة

( ذكر الأحاديث الواردة في الإسراء : رواية أنس بن مالك رضي الله عنه )

قال الإمام أبو عبد الله البخاري : حدثني عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان - هو ابن بلال - عن شريك بن عبد الله قال : سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينم قلبه - وكذلك الأنبياء تمام أعينهم ولا تمام قلوبهم - فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعه عند بز زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أتى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشو إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولغاد يده - يعني عروق حلقه - ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا ؟ فقال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال معي محمد قالوا وقد بصت إليه ؟ قال نعم قالوا فرحباً به وأهلاً ، يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم ، فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلم عليه وردّ عليه آدم فقال مرحباً

وأهلا بابني نعم الابن أنت ، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال « ماهذان النهران يا جبريل ؟ » قال هذان النيل والفرات عنصرهما ، ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ، ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الملائكة الأولى من هذا ؟ قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ثم عرج به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل مباء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى فقال موسى رب لم أظن أن ترفع علي أحدا ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله عز وجل حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله إليه فيما يوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط به حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال « عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة » قال إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعندهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه يستشيريه في ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو في مكانه « يارب خفف عنا فان أمتي لا تستطيع هذا » فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردد موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال « يارب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم فخفف عنا » فقال الجبار تبارك وتعالى : يا محمد قال « لبيك وسعديك » قال إنه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك في أم الكتاب فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك ، فرجع إلى موسى فقال كيف فعلت ؟ فقال « خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها » قال موسى قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا موسى قد والله استحيت من ربي عز وجل مما أختلف إليه » قال فاهبط باسم الله . قال واستيقظ وهو في المسجد الحرام ، هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد ورواه في صفة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه أبي بكر عبد الحميد عن سليمان بن بلال . ورواه مسلم عن هرون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان قال فزاد ونقص وقدم وأخر وهو كما قال مسلم فإن شريك بن عبد الله بن أبي نمره اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه كما سيأتي بيانه إن شاء الله في الأحاديث الأخر ومنهم من يجعل هذا مناما توطئة لما وقع بعد ذلك والله أعلم . وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه صلى الله عليه وسلم رأى الله عز وجل يعني قوله ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . قال وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح وهذا الذي قاله البيهقي رحمه الله في هذه المسألة هو الحق فإن أبا ذر قال يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال « نور أتى أراه » وفي رواية « رأيت نورا » أخرجه مسلم وقوله ( ثم دنا فتدلى ) إنما هو جبريل عليه السلام كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين ، وعن ابن مسعود وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي هريرة ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته



التيمي وثابت البناني كلاهما عن أنس قال النسائي هذا أصح من رواية من قال سليمان عن ثابت عن أنس ، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا وهب بن بهية حدثنا خاله عن التيمي عن أنس قال أخبرني بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر على موسى وهو يصلي في قبره ، وقال أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة حدثنا معتمر عن أبيه قال سمعت أنسا أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر بموسى وهو يصلي في قبره قال أنس ذكر أنه حمل على البراق فأوثق الدابة أو قال الفرس . قال أبو بكر صفها لي فقال رسول الله ﷺ « هي كذبه وذه » فقال أشهد أنك رسول الله وكان أبو بكر رضي الله عنه قد رآها ، وقال الحافظ أبو بكر أحمد ابن عمرو البرازي في مسنده حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقممت إلى شجرة فيها كوكري الطير فقمعت في أحدها وقعدت في الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الحاققين وأنا أقلب طرفي ولو شئت أن أمنس السماء لمسست فالتفت إلى جبريل كأنه جلس لاط فعرفت فضل علمه بالله على وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رفرق الدر والياقوت وأوحى إلي ما شاء الله أن يوحى » ثم قال ولا نعلم روى هذا الحديث إلا أنس ولا نعلم رواه عن أبي عمران الجوني إلا الحارث ابن عبيد وكان رجلا مشهوراً من أهل البصرة . ورواه الحافظ البيهقي في الدلائل عن أبي بكر القاضي عن أبي جعفر محمد بن علي بن دحيم عن محمد بن الحسين بن أبي الحسين عن سعيد بن منصور فذكره بسنده مثله ثم قال وقال غيره في هذا الحديث في آخره ولط دوني أو قال دون الحجاب رفرق الدر والياقوت ثم قال هكذا رواه الحارث ابن عبيد ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطار أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في ملا من أصحابه فجاء جبريل فنكت في ظهره فذهب به إلى الشجرة وفيها مثل وكري الطير فقمعت في أحدها وقعد جبريل في الآخر فنشأت بناحتي بلغت الأفق فلو بسطت يدي إلى السماء لالتها فدلني بسبب وهبط إلى النور فوقع جبريل مغشيا عليه كأنه جلس فعرفت فضل خشيته على خشيتي فأوحى إلي نبياً ملكاً أو نبياً عبداً وإلى الجنة ما أنت فأوماً إلى جبريل وهو مضطجع أن تواضع قال قلت لا بل نبياً عبداً قلت وهذا إن صح يقتضي أنها واقعة غير ليلة الإسراء فإنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود إلى السماء فهي كائنة غير ما نحن فيه والله أعلم . وقال البرازي أيضاً حدثنا عمرو بن عيسى حدثنا أبو بجر حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل . وهذا غريب . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يونس حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن عبد الرحمن ابن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فكأنها حركت ذنبها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما زكبتك مثله وسار رسول الله تعالى عليه وسلم فإذا هو بمعجوز على جانب الطريق فقال « ما هذه يا جبريل ؟ » قال سر يا محمد ، قال فسار ما شاء الله أن يسير فإذا شيء يدعوه متنجحاً عن الطريق فقال هلم يا محمد فقال له جبريل سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير ، قال فلقية خلق من خلق الله فقالوا السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاضر ، فقال له جبريل اردد السلام يا محمد فرد السلام ، ثم تقبة الثانية فقال له مثل مقالته الأولى ثم الثالثة كذلك حتى انتهى إلى بيت المقدس فعرض عليه الحجر والماء واللبن فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن فقال له جبريل أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الحجر لغويت ولغويت أمتك ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة . ثم قال له جبريل : أما المعجوز التي رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا كما بقي من عمر تلك المعجوز . وأما الذي أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن يميل إليه ، وأما الذين سلوا عليك إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن وهب . وفي بعض ألفاظه نكارة وخرابة (طريق أخرى) عن أنس بن مالك وفيها غرابة ونكارة جداً وهي في سنن النسائي

المجتبي ولم أرها في الكبير قال : حدثنا عمرو بن هشام حدثنا مخلد هو ابن الحسين عن سعيد بن عبد العزيز حدثنا يزيد بن أبي مالك حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بداية فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعى جبريل عليه السلام فسرت فقال انزل فصل فصليت ، فقال أتدرى أين صليت ؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة ، ثم قال انزل فصل فصليت فقال أتدرى أين صليت ؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ؛ ثم قال انزل فصل فصليت ، فقال أتدرى أين صليت ، صليت بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ، ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل عليه السلام حتى أممهم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا فإذا فيها آدم عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الثانية فإذا فيها ابننا الحالة عيسى ويحيى عليهما السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس عليه السلام . ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام ، ثم صعد بي فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى فغشاني ضيابة فخررت ساجداً فقيل لي إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمك فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام فقال ما فرض ربك على أمك قلت خمسين صلاة ، قال فانك لا تستطيع ان تقوم بها لا أنت ولا أمك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فرجعت إلى ربي فخفف عني عشرآ ، ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع فرجعت فخفف عني عشرآ ثم ردت إلى خمس صلوات ، قال فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فانه فرض على بني إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما فرجعت إلى ربي عزوجل فسألته التخفيف فقال إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمك خمس صلوات فخمسين فخمسين فقم بها أنت وأمك ، قال فعرفت أنها من الله عزوجل صررت فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال ارجع ففرفت أنها من الله عزوجل صررت — يقول أى حتم — فلم أرجع » <sup>(طريق أخرى)</sup> وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام ابن عمار حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما كان ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس أتاه جبريل بداية فوق الحمار ودون البغل حمله جبريل عليها ينتهي خلفها حيث ينتهي طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذي يقال له باب محمد صلى الله عليه وسلم أتى إلى الحجر الذي ثمة فعمزه جبريل بأصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ فقال « نعم » فقال فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة ، قال « فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن على السلام فقلت من أنتن فقلن نحن خيرات حسان نساء قوم أبرار تقوا فلم يدرونا . وأقاموا فلم يظنوا ، وخذلوا فلم يموتوا ، قال ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأتيت الصلاة قال قمنا صفوفا ننظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل يا محمد أتدرى من صلى خلفك قال - قلت لا - قال - صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل - قال - ثم أخذ بيدي جبريل فصعد بي إلى السماء فلما انتهينا إلى الباب استفتح فقالوا من أنت ؟ قال أنا جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم - قال - ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك - قال - فلما استوى على ظهرها إذا فيها آدم فقال لي جبريل يا محمد ألا تسلم على أهلك آدم - قال - قلت بلى فأتيته فسلمت عليه فرد علي وقال مرحباً بابني الصالح والنبي الصالح - قال - ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها عيسى وابن خالته يحيى عليهما السلام ، قال - ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح ، قالوا من أنت ؟ قال جبريل ؟ قالوا ومن معك ؟ قال محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك قال محمد قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم - قال - ففتحوا له وقالوا له مرحباً بك من أنت ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم - قال - ففتحوا له وقالوا له مرحباً بك

ويعن معك فإذا فيها إدريس عليه السلام - قال - فخرج بي إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم - قال - ففتحوا وقالوا مرحباً بك وبين معك وإذا فيها هرون عليه السلام ، ثم عرج بي إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت ، قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم - قال - ففتحوا وقالوا مرحباً بك وبين معك ، وإذا فيها موسى عليه السلام ، ثم عرج بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبين معك وإذا فيها إبراهيم عليه السلام فقال جبريل يا محمد ألا تسلم على أهلك إبراهيم ؟ قلت بلى فأتيته فسلمت عليه فرد علي السلام وقال مرحباً بابني الصالح والنبي الصالح ، ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى بي إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير خضر أنعم طير رأيت فقلت يا جبريل إن هذا الطير لنا عم قال يا محمد آكله أنعم منه ، ثم قال يا محمد أتدري أي نهر هذا - قال - قلت لا ، قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله إياه فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجرى على رضراض من الياقوت والزمرذ مائة أشد بياضاً من اللبن - قال - فأخذت من آنيته آنية من الذهب فاغترفت من ذلك الماء فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك ثم انطلق بي حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتني سحابة فيها من كل لون فرفضني جبريل وخررت ساجداً لله عز وجل فقال الله لي : يا محمد اني يوم خلقت السموات والأرض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك - قال - ثم انجلت عني السحابة فأخذ يدي جبريل فانصرفت سريعاً فأتيته على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً ، فأتيته على موسى فقال ما صنعت يا محمد ؟ فقلت فرض ربي علي وعلى أمتي خمسين صلاة . قال فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فأسأله أن يخفف عنك فرجعت سريعاً حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتني السحابة ورفضني جبريل وخررت ساجداً وقلت رب إنك فرضت علي وعلى أمتي خمسين صلاة ولن أستطيعها أنا ولا أمتي فخفف عنا قال قد وضعت عنكم عشرة - قال - ثم انجلت عني السحابة وأخذ يدي جبريل - قال - فانصرفت سريعاً حتى أتيت على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً ثم أتيت على موسى فقال لي ما صنعت يا محمد ؟ فقلت وضع عني ربي عشرة قال فأربعون صلاة لن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فأسأله أن يخفف عنكم . فذكر الحديث كذلك إلى خمس صلوات وخمس بخمسين ثم أمره موسى أن يرجع فيسأله التخفيف فقلت إنني قد استحييت منه تعالى » قال ثم انجدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل « مالي لم آت أهل سماء إلا رحبوا بي وضحكوا لي غير رجل واحد فسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ولم يضحك لي » قال يا محمد ذاك مالك خازن جهنم لم يضحك منذ خلق ولو ضحكك إلى أحد لضحك إليك ، قال ثم ركب منصرفاً فينا هو في بعض الطريق مربيع لقريش تحمل طعاماً منها حمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى بالبعير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر ، ثم إنه مضى فأصبح فأخبر عما كان فلما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر فقالوا يا أبا بكر هل لك في صاحبك ؟ يخبر أنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر ورجع في ليلته فقال أبو بكر رضي الله عنه إن كان قاله فقد صدق وأنا لنصدقك فيما هو أبعد من هذا لنصدقك على خبر النبأ فقال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما علامة ماتقول قال « مررت ببعير لقريش وهي في مكان كذا وكذا فنفرت الإبل منا واستدارت وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر » فلما قدمت الغير سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ما حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك سمى أبو بكر الصديق وسألوه وقالوا هل كان فيمن حضر معك موسى وعيسى ؟ قال « نعم » قالوا فصفهم لنا قال « نعم أما موسى فرجل آدم كأنه من رجال أزد عمان ، وأما عيسى فرجل ربة سبط تلوه حمرة كأنما يتحادر من شعره الجمان » هذا سياق فيه غرائب عجيبة (رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك أن مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال « بينا أنا في الحطيم - وربما قال قتادة في الحجر - مضطجماً إذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه الأوسط بين الثلاثة - قال - فأتاني فقد - سمعت قتادة يقول فشق - ما بين هذه



لعشرين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فوضع عنى عشر آخر فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ فقلت أمرت بعشر صلوات كل يوم فقال إن أمتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك - قال - فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت فقلت أمرت بخمس صلوات كل يوم فقال إن أمتك لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك - قال - قلت قد سألت ربي حتى استحيت ولكن أَرْضِي وَأَسْلِمَ فَنَفَذْتَ فَنَادَى مَنَادٌ قَدْ أَمْضِيَتْ فَرِيضَتِي وَخَفَفْتَ عَن عِبَادِي » وَأَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ بِنَحْوِهِ . (رواية أنس عن أبي ذر) قال البخاري حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس ابن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال « فرج عن سقفي بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا فلما جئت إلى السماء قال جبريل لحازن السماء افتح قال من هذا قال جبريل قال هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم فقال أرسل إليه ؟ قال نعم فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وطل ييساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح - قال - قلت لجبريل من هذا قال وهذا آدم هذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسمة بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى ثم عرج بي إلى السماء الثانية فقال لحازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال له الأول ففتح » قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال أنس فلما مر جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس قال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا قال إدريس ثم مر بموسى فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا ؟ قال هذا عيسى ثم مررت بإبراهيم فقال مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا قال هذا إبراهيم فأنشأ يقولان قال النبي ﷺ « ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقاليم » قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله ﷺ « افترض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى عليه السلام فقال ما فرض الله على أمتك قلت فرض خمسين صلاة قال موسى فأرجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فوضع شرطها فرجعت إلى موسى قلت وضع شرطها فقال أرجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فوضع شرطها فرجعت إليه فقال أرجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعت فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدى فرجعت إلى موسى فقال أرجع إلى ربك قلت قد استحيت من ربي، ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هي ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جبال للؤلؤ وإذا ترابها المسك » وهذا لفظ البخاري في كتاب الصلاة ورواه في ذكر بني إسرائيل وفي الحج وفي أحاديث الأنبياء من طرق أخرى عن يونس به ، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن حرملة عن ابن وهب عن يونس به نحوه

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته قال وما كنت تسأله قال كنت أسأله هل رأى ربه فقال إني قد سألته فقال « قدر أيتها نوراً أتى أراه » هكذا قد وقع في رواية الإمام أحمد وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال « نور أتى أراه » وعن محمد بن بشار عن معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته فقال عن أي شيء كنت تسأله ؟ قال كنت أسأله هل رأيت ربك قال أبو ذر قد سألت

فقال رأيت نوراً ﴿رواية أنس عن أبي بن كعب الأنصاري رضى الله عنه﴾ قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا محمد ابن إسحق بن محمد بن المسيبي حدثنا أنس بن عياض حدثنا يونس بن يزيد قال : قال ابن شهاب قال أنس بن مالك كان أبي بن كعب يحدث أن رسول الله ﷺ قال « فرج سقف بيتي وأنا عمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب تمتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدرى ثم أطبقه ثم أخذ ييدى فخرج بي إلى السماء فلما جاء السماء الدنيا إذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه تبسم وإذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت لجبريل من هذا ؟ قال هذا آدم وهذه الأسودة التي عن يمينه وعن شماله نسمة بنيه فأهل يمينه هم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله هم أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى - قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لحازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح له » قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وإبراهيم وعيسى ولم يثبت لى كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة ، قال أنس فلما مر جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قال « قلت من هذا يا جبريل قال هذا إدريس ، قال - ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا قال هذا موسى ، ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم - قال - ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا إبراهيم » قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأباحبة الأنصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأقدام » قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرض الله على أمي خمسين صلاة ، قال فرجعت بذلك حتى أمر على موسى فقال موسى ماذا فرض ربك على أمتك قلت فرض عليهم خمسين صلاة ، فقال لى موسى راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال فرجعت ربي فوضع شطرها فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدى ، قال فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحيت من ربي ، قال ثم انطلق بي حتى أتى سدرة المنتهى قال فغشيها ألوان ما أدري ما هي قال ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا تراها المسك » هكذا رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه وليس هو في شيء من الكتب الستة ، وقد تقدم في الصحيحين من طريق يونس عن الزهري عن أنس عن أبي ذر مثل هذا السياق سواء فأنه أعلم ﴿رواية بريدة بن الحصيب الأسلمي﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن المتوكل ويعقوب بن إبراهيم واللفظة قالوا : حدثنا أبو نميلة حدثنا الزبير بن جنادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما كان ليلة أسرى بي - قال - فأتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس - قال - فوضع أصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق » ثم قال البزار لا نعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نميلة ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة وقد رواه الترمذي في التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي به وقال غريب . ﴿رواية جابر بن عبد الله رضى الله عنه﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب بن عبد الله بن شهاب قال : قال أبو سلمة سمعت جابر بن عبد الله يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لما كذبتني قريش حين أسرى بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » أخرجاه في الصحيحين من طرق عن حديث الزهري به ، وقال البيهقي حدثنا أحمد بن الحسن القاضي حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال سمعت سعيد بن المسيب يقول : إن رسول الله ﷺ حين انتهى إلى بيت المقدس لقي فيه إبراهيم وموسى وعيسى وإنه أتى بقدرين قرح من لبن وقرح من خمر فنظر إليهما ثم أخذ قرح اللبن فقال جبريل أصبت هديت للفظرة لو أخذت الخمر لغوت أمتك ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة فأخبر أنه أسرى به فافتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه . وقال ابن شهاب قال أبو سلمة بن عبد الرحمن فتنجز أو كلمة نحوها ناس من قريش إلى

أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة . فقال أبو بكر أوقال ذلك ؟ قالوا نعم ، قال فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا فتصدقه في أن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ قال نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء . قال أبو سلمة فيها سمي أبو بكر الصديق . قال أبو سلمة فسمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لما كذبتني قرين حين أسرىني إلى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»  
في رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عليه السلام قال الإمام أحمد ثنا أبو النضر ثنا سليمان عن شيبان عن عاصم عن زر بن حبیش قال أتيت علي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وهو يحدث عن ليلة أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول : فانطلقا حتى أتيا بيت المقدس فلم يدخله قال قلت بل دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلئذ وصلى فيه قال ما اسمك يا أصلع ؟ فأنا أعرف وجهك ولا أدري ما اسمك قال قلت أنا زر بن حبیش قال فما علمك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه ليلئذ قال قلت القرآن يخبرني بذلك قال فمن تكلم بالقرآن فلج اقرأ قال قلت ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ) قال يا أصلع هل تجد صلى فيه ؟ قلت لا قال والله ما صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلئذ ولو صلى فيه لكتب عليكم صلاة فيه كما كتب عليكم صلاة في البيت العتيق والله ما زايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فرأيا الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع ثم عادا عودها على بدئهما قال ثم ضحك حتى رأيت نواجذه . قال وتحدثوني أنه ربطه لا يفر منه وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة قلت أبا عبد الله أي دابة البراق ؟ قال دابة أبيض طويل هكذا خطوه مد البصر . ورواه أبو داود الطيالسي عن حماد ابن سلمة عن عاصم به ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث عاصم وهو ابن أبي النجود به وقال الترمذي حسن وهذا الذي قاله حذيفة رضي الله عنه نفي ما أثبتته غيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربط الدابة بالحلقة ومن الصلاة ببيت المقدس مما سبق وما سبق مقدم على قوله والله أعلم بالصواب عليه السلام رواية أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى عليه السلام قال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ حدثنا أبو انعماس محمد بن يعقوب حدثنا أبو بكر يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا أبو محمد راشد الحماني عن أبي هريرة العبدى <sup>(١)</sup> عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له أصحابه يا رسول الله أسرنا عن ليلة أسرى بك فيها قال : قال الله عز وجل ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ) الآية قال فأخبرهم قال « فيينا أنا نائم عشاء في المسجد الحرام إذ أتاني آت فأيقظني فاستيقظت فلم أر شيئا فإذا أنا بكهيشة خيال فأتبعته بصري حتى خرجت من المسجد الحرام فإذا أنا بدابة أدنى شها بدوابكم هذه ، بغالكم هذه غير أنه مضطرب الأذنين يقال له البراق وكانت الأنبياء تركبه قبلى يقع حافره عند مد بصره فركبته فيينا أنا أسير عليه إذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظرنى : سألك يا محمد انظرنى سألك يا محمد انظرنى سألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، فيينا أنا أسير عليه إذ دعاني داع عن يساري يا محمد انظرنى سألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، فيينا أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعها وعليها من كل زينة خلقها الله فقالت يا محمد انظرنى سألك فلم ألفت إليها ولم أقم عليها حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء توثقها بها ثم أتاني جبريل عليه السلام بإناء من أحدهما خمر والآخر لبن فشربت اللبن وأبيت الحجر فقال جبريل أصبت الفطرة أما إنك لو أخذت الحجر غوت أمتك فقلت الله أكبر الله أكبر فقال جبريل ما رأيت في وجهك هذا ؟ قال قلت بيننا أنا أسير إذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظرنى سألك فلم أجبه ولم أقم عليه قال ذلك داعي اليهود أما إنك لو أجبتة أووقفت عليه لتهودت أمتك - قال - فيينا أنا أسير إذ دعاني داع عن يساري قال يا محمد انظرنى سألك فلم ألفت ولم أقم عليه قال ذلك داعي النصارى أما إنك لو أجبتة لتنصرت أمتك - قال - فيينا أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعها وعليها من كل زينة خلقها الله تقول يا محمد انظرنى سألك فلم أجها ولم أقم عليها قال تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها أووقفت عليها لاخترت أمتك الدنيا على الآخرة . قال ثم دخلت أنا وجبريل بيت

(١) هو ضعيف وقيل كذاب .

القدس فصلى كل واحد منا ركعتين ثم أتيت بالمعراج الذي كانت تعرج عليه أرواح الأنبياء فلم ير الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامعا إلى السماء فأبما يشق بصره طامعا إلى السماء عجبه بالمعراج قال فصعدت أنا وجبريل فاذا أنا بملك يقال له إسماعيل وهو صاحب السماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنوده مائة ألف ملك قال : قال الله عز وجل ( وما يعلم جنود ربك إلا هو ) قال فاستفتح جبريل باب السماء قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد بعث إليه ، قال نعم فاذا أنا بآدم كهيبته يوم خلقه الله عز وجل على صورته ؟ فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين فضيت هنيهة فاذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأتئن عندها أناس يأكلون منها قلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويتركون الحلال ، قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بأقوام مشافهم كمشافر الإبل قال فتفتح أفواههم فيلقمون من ذلك الحجر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضحون إلى الله عز وجل قلت من هؤلاء يا جبريل ، قال هؤلاء من أمتك ( الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ) قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بنساء تعلقن بشديهن فسمعتهن يضحجن إلى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء النساء ، قال هؤلاء الزناة (١) من أمتك. قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر فيقول اللهم لاتقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فتجىء السابلة فتطوهم قال فسمعتهم يضحون إلى الله - قال قلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء من أمتك ( الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ) قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال له كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء المهازون من أمتك اللمازون قال ثم صعدنا إلى السماء الثانية فاذا أنا برجل أحسن ما خلق الله عز وجل قد فضل الناس في الحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب قلت يا جبريل من هذا ، قال هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فرد على ، ثم صعدنا إلى السماء الثالثة واستفتح فاذا أنا بيحي وعيسى عليهما السلام ومعهما نفر من قومهما فسلمت عليهما وسلمنا على ثم صعدنا إلى السماء الرابعة فاذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكاناً علياً فسلمت عليه فسلم على ، ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فاذا أنا بهرون ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تسكاد لحيته تصيب سرتة من طولها قلت يا جبريل من هذا ، قال هذا المحبب في قومه هذا هرون بن عمران ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على . ثم صعدت إلى السماء السادسة فاذا أنا بموسى بن عمران رجل آدم كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص فاذا هو يقول يزعم الناس أني أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله مني قال قلت يا جبريل من هذا ، قال هذا أخوك موسى بن عمران عليه السلام ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على ، ثم صعدت إلى السماء السابعة فاذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن ساند ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال قلت يا جبريل من هذا ، قال هذا أبوك إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فسلم على وإذا أنا بأمتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس وشرط عليهم ثياب برمد - قال - فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجج الآخرون الذين عليهم الثياب الرماد وهم على خير فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور ثم خرجت أنا ومن معي . قال والبيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة قال ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تسكاد تغطي هذه الأمة ، وإذ فيها عين تجري يقال لها سلسيل فينشق منها نهران ( أحدهما ) الكوثر ( والآخر ) يقال له نهر الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ماتقدم من ذنبي وما تأخر . ثم إنى رفعت إلى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن أنت يا جارية قالت لزيد بن حارثة وإذا بأنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، وإذا رمانها كالدلاء عظما وإذا أنا بطيرها كأنها بخمك هذه فقال عندها **بسم الله** إن الله تعالى قد

(١) الزناة جمع زان فهو للمذكر ، وفي الخصائص اللاتن يزنين ويقتلن أولادهن .

أعد لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - قال - ثم عرضت على النار فإذا فيها غضب الله وزجره وتقمته ولو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم أغلقت دوني ثم إنى رفعت إلى سدرة المنتهى فتغشاني فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى . قال وينزل على كل ورقة منها ملك من الملائكة - قال - وفرضت على خمسون صلاة ، وقال لك بكل حسنة عشر فإذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة فإذا عملتها كتبت لك عشراً ؛ وإذا هممت بالسئية فلم تعملها لم يكتب عليك شيء فان عملتها كتبت عليك سيئة واحدة ثم رجعت إلى موسى فقال بما أمرك ربك ؟ فقلت بخمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق ذلك ، ومتى لا تطيقه تكفر فرجعت إلى ربي فقلت يا رب حفف عن أمتي فانها أضعف الأمم فوضع عني عشراً وجعلها أربعين فما زلت أختلف بين موسى وربي كلما أتيت عليه قال لي مثل مقالته حتى رجعت إليه فقال لي بم أمرت فقلت أمرت بعشر صلوات قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فرجعت إلى ربي فقلت أي رب خفف عن أمتي فانها أضعف الأمم فوضع عني خمساً وجعلها خمساً فناداني ملك عندها تمت فريضتي وخففت عن عبادي وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها ثم رجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ فقلت بخمس صلوات قال ارجع إلى ربك فانه لا يؤوده شيء فأسأله التخفيف لأمتك فقلت رجعت إلى ربي حتى استحييت « ثم أصبح بمكة يخبرهم بالأعاجيب : إنى أتيت البارحة بيت المقدس وعرج بي إلى السماء ورأيت كذا وكذا فقال أبو جهل يعني ابن هشام ألا تعجبون مما قال محمد ؟ يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهراً ومقفلة شهراً فهذه مسيرة شهرين في ليلة واحدة قال فأخبرتهم بعير لقريش لما كنت في مصعدى رأيتها في مكان كذا وكذا وأنها فرت فلما رجعت وجدتها عند العقبة وأخبرهم بكل رجل وبغيره كذا وكذا ومتاعه كذا وكذا فقال أبو جهل يخبرنا بأشياء فقال رجل منهم أنا أعلم الناس ببيت المقدس وكيف بناؤه وهيئته وكيف قربه من الجبل فان يك محمد صادقاً فأسأله عن كذا وكذا فأسأله عن كذا وكذا فأسأله عن كذا وكذا فقال يا محمد أنا أعلم الناس ببيت المقدس فأخبرني كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل قال فرفع لرسول الله ﷺ بيت المقدس من مقعده فنظر إليه كمنظر أحدنا إلى بيته قال بناؤه كذا وكذا وهيئته كذا وكذا وقربه من الجبل كذا وكذا فقال الآخر صدقت فرجع إليهم فقال صدق محمد فيما قال أو نحو من هذا الكلام وكذا رواه الإمام أبو جعفر بن جرير بطوله عن محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن نور عن معمر بن أبي هارون العبدي ، وعن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر بن أبي هارون العبدي به ، ورواه أيضاً من حديث ابن إسحاق حدثني روح بن القاسم عن أبي هارون به نحو سياقه المتقدم ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أحمد بن عبدة عن أبي عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري فذكره بسياق طويل حسن أتيق أجود مما ساقه غيره على غرابته وما فيه من النكارة ، ثم ذكره البيهقي أيضاً من رواية روح ابن قيس الحدائي وهشيم ومعمر عن أبي هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين وهو مصعب عند الأئمة ، وإنما سقنا حديثه ههنا لما فيه من الشواهد لغيره ، ولما رواه البيهقي أخبرنا أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن أنبأنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم البزار حدثنا أبو حامد بن بلال حدثنا أبو الأزهر حدثنا يزيد بن أبي حكيم قال رأيت في النوم رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله رجل من أمتك يقال له سفيان الثوري لا بأس به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا بأس به » حدثنا عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري عنك يا رسول الله ليلة أسرى بك قلت رأيت في السماء فحدثه بالحديث فقال لي « نعم » فقلت له يا رسول الله إن ناساً من أمتك يحدثون عنك في السرى بعجائب ؟ فقال لي « ذلك حديث القصاص » (رواية شداد بن أوس) قال الإمام أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي حدثنا إسحاق ابن إبراهيم بن العلاء بن الضحاك الزبيدي حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سالم الأشعري عن محمد بن الوليد ابن عامر الزبيدي حدثنا أبو الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير حدثنا شداد بن أوس قال : قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك ؟ قال « صليت لأصحابي صلاة العتمة بمكة معتماً فأتاني جبريل عليه السلام بدابة أبيض - أو قال بيضاء - فوق الحمار

ودون البغل فقال اركب فاستصعب على فرازها بأذنها ثم حملني عليها فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث اتى طرفها حتى بلغنا أرضاً ذات نخل فأنزلني فقال صل فصليت ثم ركبت فقال أتدري أين صليت؟ قلت الله أعلم، قال صليت يثرب صليت بطيبة فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها عند منتهى طرفها ثم بلغنا أرضاً قال انزل ثم قال صل فصليت ثم ركبتنا فقال أتدري أين صليت؟ قلت الله أعلم، قال صليت بمدين عند شجرة موسى، ثم انطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضاً بدت لنا قصور فقال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبتنا فقال أتدري أين صليت؟ قلت الله أعلم، قال صليت بيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني فأني قبلة المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأتميت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر غسل أرسل إلى بهما جميعاً فعدلت بينهما ثم هداني الله عز وجل فأخذت اللبن فشربت حتى عرفت به جيبني وبين يدي شيخ متكئ على مئذنة له فقال أخذ صاحبك الفطرة إنه ليهدي، ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي الذي فيه المدينة فإذا جهنم تنكشف عن مثل الروابي<sup>(١)</sup> قلت يا رسول الله كيف وجدتها؟ قال وجدتها مثل الحمة السخنة ثم انصرف بي فمررنا بغير لقريش بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيراً لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة فأتاني أبو بكر رضى الله عنه فقال يا رسول الله أين كنت الليلة فقد التمسك في منالك، فقال علمت أني أتيت بيت المقدس الليلة، فقال يا رسول الله إنه مسيرة شهر فصفه لي، قال ففتح لي صراطاً كأنني أنظر إليه لا يسألني عن شيء إلا أنبأته به، فقال أبو بكر أشهد أنك لرسول الله، وقال المشركون انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة، قال فقال إن من آية ما أقول لكم أتى مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم فجمعه لهم فلان وإن مسيرهم ينزلون بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريباً من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ هكذا رواه البيهقي من طريقين عن أبي إسماعيل الترمذي به ثم قال بعد تمامه هذا إسناد صحيح، وروى ذلك مفرداً من أحاديث غيره ونحن نذكر من ذلك إن شاء الله ما حضرنا ثم ساق أحاديث كثيرة في الإسراء كالشاهد لهذا الحديث، وقد روى هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الإمام أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي به، ولا شك أن هذا الحديث أعنى الحديث المروى عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي ومنها ما هو منكر كالصلاة في بيت لحم. وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم ﴿رواية عبد الله بن عباس رضى الله عنهما﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه قال حدثنا ابن عباس قال: ليلة أسرى رسول الله ﷺ دخل الجنة فسمع في جانبها وخشياً<sup>(٢)</sup> فقال يا جبريل ما هذا؟ قال هذا بلال المؤذن فقال النبي ﷺ حين جاء إلى الناس «قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا» قال فلقية موسى عليه السلام فرحب به وقال مرحباً بالنبي الأمي قال وهو رجل آدم طويل سبط شعره مع أذنيه أو فوقهما فقال من هذا يا جبريل؟ قال هذا موسى، قال فضى فلقية شيخ جليل متعبد فرحب به وسلم عليه وكلهم يسلم عليه قال من هذا يا جبريل قال هذا أبوك إبراهيم قال ونظر في النار فإذا قوم يأكلون الجيف قال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ورأى رجلاً أحمر أزرق جداً قال من هذا يا جبريل؟ قال هذا عاقر الناقة، قال: فلما أتى رسول الله ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي فإذا النبيون أجمعون يصلون معه، فلما انصرف جرى بقدرين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال في أحدهما لبن وفي الآخر غسل فأخذ اللبن فشرب منه فقال الذي كان معه القمح أصبت الفطرة إسناد صحيح ولم يخرجوه. ﴿طريق أخرى﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ثابت أبو زيد حدثنا هلال حدثني عكرمة عن ابن عباس قال: أسرى رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبغيرهم فقال ناس نحن لا نصدق محمداً بما يقول فارتدوا كفاراً فضرب

(١) في نسخة الأزهر: والأميرة الزراني، وكذا في الخصائص. (٢) في النسخ كلها وخشياً: وهو متعبد، والرجس الجيم والسين الصوت الحقي.

الله رقابهم مع أبي جهل وقال أبو جهل يخوفنا محمد بشجرة الزقوم هاتوا تمرًا وزبدا فترقوا ، ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام وعيسى وموسى وإبراهيم ، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال فقال « رأيت فيلانيا أقرهجان ، إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري كأن شعر رأسه أغصان شجرة ، ورأيت عيسى عليه السلام أبيض جعد الرأس حديد البصر ومبطن الخلق ، ورأيت موسى عليه السلام أسحم آدم كثير الشعر شديد الخلق ، ونظرت إلى إبراهيم عليه السلام فلم أنظر إلى ارب منه إلا نظرت إليه منى حتى كأنه صاحبكم ، قال جبريل سلم على أيك فسلمت عليه » ورواه النسائي من حديث أبي يزيد . ثابت بن زيد عن هلال وهو ابن جبان به وهو إسناد صحيح

﴿طريق أخرى﴾ قال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر الشافعي أنبأنا إسحاق بن الحسن حدثنا الحسين ابن محمد حدثنا شيان عن قتادة عن أبي العالية قال حدثنا ابن عم نبيكم ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت ليلة أسرى بي موسى بن عمران رجلا طولا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس » وأرى مالكا خازن جهنم والدجال في آيات أراهن الله إياه قال ( فلا تكن في مربة من لقائه ) فكان قتادة يفسرها أن نبي الله ﷺ قد لقي موسى عليه السلام ( وجعلناه هدى لبني إسرائيل ) قال جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل رواه مسلم في الصحيح عن عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن شيان وأخرجه من حديث شعبة عن قتادة مختصرا ﴿طريق أخرى﴾ وقال البيهقي أخبرنا علي بن أحمد بن عبد الله أنا أحمد بن عبيد الستار ثنا ديبس العدل ثنا عفان قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما أسرى بي مرت بي رائحة طيبة فقلت ما هذه الرائحة ؟ قال ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط المشط من يدها فقالت باسم الله فقالت بنت فرعون أبي قالت ربي وربك ورب أيك قالت أولك رب غير أبي ؟ قالت نعم ربي وربك ورب أيك الله . قال فدعاها فقال ألك رب غيري قالت نعم ربي وربك الله عز وجل . قال فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلتق فيها قالت إن لي إليك حاجة قال ماهي ، قال تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع قال ذاك لك لما لك علينا من الحق قال فأمر بهم فأتقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم فقال يا أمه قمى ولا تقاعسى فإنك على الحق . قال وتكلم أربعة في المهدي وهم صغار هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام . إسناد لأبأس به ولم يخرجوه ﴿طريق أخرى﴾ قال الإمام أحمد أيضاً حدثنا محمد بن جعفر وروح بن العين قالا حدثنا عوف عن زرارة ابن أوفى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما كان ليلة أسرى بي فأصبحت بمكة فظعت وعرفت أن الناس مكذبني » فعدت معتزلاً حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاؤ حتى جلس إليه فقال له كالمستهزى هل كان من شيء ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قال وما هو ، قال « إني أسرى بي الليلة » قال إلى أين ، قال « إلى بيت المقدس » قاله ثم أصبحت بين ظهرانينا ، قال « نعم » قال فلم ير أن يكذبه مخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه إليه ، فقال رأيت ان دعوت قومك آتحدثهم بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » فقال يامعشر بني كعب بن لؤي قال فانفضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أسرى بي الليلة » فقالوا إلى أين ، قال « إلى بيت المقدس » قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا قال « نعم » قال فمن بين مصفق ومن بين واضح يده على رأسه متعجباً للكذب ، قالوا وتستطيع أن تتعت لنا المسجد وفيهم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ، فقال رسول الله ﷺ « فما زلت أنت حتى التبس على بعض النعت - قال - فجاء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون داب عقيل - أو عقيل - فنتعته وأنا أنظر إليه - قال - وكان مع هذا نعت لم أحفظه - قال - فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه » وأخرجه النسائي من حديث عوف بن أبي جميلة وهو الأعرابي به ، ورواه البيهقي من حديث النضر بن شميل وهوذة عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي أحد الأئمة الثقات ﴿رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه﴾ قال

الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا السري بن خزيمة حدثنا يوسف ابن بهلول حدثنا عبد الله بن عمير عن مالك بن مغول عن الزبير بن عدي عن طلحة بن مصرف عن مرة الهمداني عن عبد الله ابن مسعود قال : لما أسرى رسول الله ﷺ فأتته إلى سدره المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يصعد به حتى يقبض منها ، وإليها ينهب ما يهبط به من فوقها حتى يقبض ( إذ يغشى السدرة ما يغشى ) قال غشها فراش من ذهب وأعطى رسول الله ﷺ الصلوات الخمس وخواتم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً المقحجات يعني الكبائر . ورواه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبد الله بن عمير وزهير بن حرب كلاهما عن عبد الله بن نمير ، ثم قال البيهقي وهذا الذي ذكره عبد الله ابن مسعود طرف من حديث المعراج ، وقد رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم رواه مرة مرسل من دون ذكرهما ثم إن البيهقي ساق الأحاديث الثلاثة كما تقدم قلت وقد روى عن ابن مسعود بأبسط من هذا وفيه غرابة وذلك فيما رواه الحسن بن عرفة في جزئه المشهور حدثنا مروان بن معاوية عن قتادة بن عبد الله التيمي حدثنا أبو ظبيان الجني قال : كنا جلوساً عند أبي عبيدة بن عبد الله يعني ابن مسعود ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وهما جالسان فقال محمد بن سعد لأبي عبيدة حدثنا عن أيك ليلة أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لا بل حدثنا أنت عن أيك فقال محمد لو سألتني قبل أن أسألك لفعلت ، قال فأنشأ أبو عبيدة يحدث يعني عن أبيه كما سئل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاني جبريل عليه السلام بداية فوق الحمار ودون البغل فحملني عليه ثم انطلق يهوى بنا كلما صدع عقبة استوت رجلاه كذلك مع يديه وإذا هبط استوت يده مع رجله حتى مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال أزد شنوءة فيرفع صوته يقول أكرمته وفضلته قال فدفعنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال من هذا معك يا جبريل ؟ قال هذا أحمد ، قال مرحباً بالنبي الأمي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته ، قال ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل ، قال هذا موسى بن عمران قال قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك ، قلت ويرفع صوته على ربه قال إن الله قد عرف له حديثه . قال ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرح تحتها شيخ وغياله قال فقال لي جبريل اعمد إلى أيك إبراهيم فدفعنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال إبراهيم من هذا معك يا جبريل ، قال هذا ابنك أحمد قال فقال مرحباً بالنبي الأمي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته يا بني إنك لاق ربك الليلة وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جلها في أمتك فافعل . قال ثم اندفعنا حتى اتهمنا إلى المسجد الأقصى فنزلت فربطت الدابة في الحلقة التي في باب المسجد التي كانت الأنبياء تربط بها ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد قال ثم أتيت بكأسين من عسل ولبن فأخذت اللبن فشربت فضرب جبريل عليه السلام منكبي وقال أصبت الفطرة ورب محمد قال ثم أقيمت الصلاة فأتمتهم ثم انصرفنا فأقبلنا « إسناد غريب ولم يخرجوه ، فيه من الغرائب سؤال الأنبياء عنه عليه السلام ابتداء ثم سؤاله عنهم بعد انصرافه والمشهور في الصحاح كما تقدم أن جبريل كان يعلمهم بهم أولاً ليسلم عليهم سلام معرفة ، وفيه أنه اجتمع بالأنبياء عليهم السلام قبل دخوله المسجد الأقصى ، والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السموات ثم نزل إلى بيت المقدس ثانياً وهم معه وصلى بهم فيه ثم إنه ركب البراق وكر راجعاً إلى مكة والله أعلم ( طريق أخرى ) قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مرثد بن جنادة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « لقيت ليلة أسرى في إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة قال فردوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبتنا فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل وفيما عهد إلى ربي أن الدجال خارج قال ومعى قضبان فإذا رأني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله إذا رأني حتى إن الحجر والشجر يقول يا مسلم إن تحتي كافر أقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطأون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس إلى فيسكونهم فأدعوا الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم أي تنتن قال فينزل الله

الطر فيجترف أجسادهم حتى يقدفهم في البحر ففيا عهد إلى ربى أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المم لا يدرى أهلها متى تفجؤم بولادها ليلا أو نهارا . وأخرجه ابن ماجه عن بندار عن يزيد بن هارون عن العوام ابن حوشب رواية عبد الرحمن بن قرط أخى عبد الله بن قرط الثمالي قال سعيده بن منصور حدثنا مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثني عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى من بين زمزم والقمام جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغ السموات العلى فلما رجع قال سمعت تسبيحا في السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى من ذى المهابة مشفقات من ذى العلو بما على سبحان العلى الأعلى سبحانه وتعالى . ونذكر ههنا الحديث عند قوله تعالى من هذه السورة ( تسبيح له السموات السبع ) الآتية

( رواية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ) قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس قال : قال أبو سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب أين ترى أن أصلى فقال إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضاهيت اليهودية ولكن أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم إلى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسة في رداءه وكنس الناس فلم يعظم الصخرة تعظيما يصلى وراءها وهى بين يديه كما أشار كعب الأخبار وهو من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلتهم ولكن من الله عليه بالإسلام فهدى إلى الحق ولهذا لما أشار بذلك قال له أمير المؤمنين عمر ضاهيت اليهودية ولا أهانها إهانة النصارى الذين كانوا قد جعلوها مزبلة من أجل أنها قبلة اليهود ولكن أماط عنها الأذى وكنس عنها الكناسة بردائه . وهذا شبيه بما جاء فى صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها »

( رواية أبي هريرة وهى مطولة جداً وفيها غرابة ) قال الإمام أبو جعفر بن جرير فى تفسير سورة سبحان حدثنا على بن سهل ثنا حجاج ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحى عن أبي هريرة أو غيره شك أبو جعفر فى قول الله عز وجل ( سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ) الآية قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ ومعه ميكائيل فقال جبرائيل لميكائيل ائتني بطست من ماء زمزم كما أظهر قلبه وأشرح له صدره قال فشق عنه بطنه فغسله ثلاث مرات واختلف إليه ميكائيل ثلاث طساس من ماء زمزم فشرح صدره فنزع ما كان فيه من غل وملاؤه علماً وحلماً وإيماناً ويقيناً وإسلاماً وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ثم أتاه بفرس فحملة عليه كل خطوة منه منتهى بصره أو أقصى بصره قال فسار وسار معه جبريل عليهما السلام قال فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبي ﷺ « يا جبريل ما هذا ؟ » قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنات بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شئ فهو يخلقه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفر عنهم من ذلك شئ فقال « ما هؤلاء يا جبريل ؟ » قال هؤلاء الذين تتشاكل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أديبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والنعم . ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال « فما هؤلاء يا جبريل » قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئاً وما الله بظلام للعبيد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ولحم نىء فى قدر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم النىء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال « ما هؤلاء يا جبريل ؟ » فقال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فى أى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتى رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تصبح قال ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شئ إلا خرقتة قال « ما هذا يا جبريل ؟ » قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونها ثم تلا ( ولا تقعدوا

بكل صراط توعدون وتصدون) الآية قال ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال « ما هذا يا جبريل ؟ » قال هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أداؤها وهو يريد أن يحمل عليها ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاهم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفترون عنهم من ذلك شيء فقال « ما هذا يا جبريل ؟ » فقال هؤلاء خطباء الفتنة ثم أتى على حجر صغير يخرج منه نور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال « ما هذا يا جبريل ؟ » فقال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها . ثم أتى على واد فوجد ريحاً طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتاً فقال : « يا جبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة وما هذا المسك وما هذا الصوت ؟ » قال هذا صوت الجنة تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرقي وإستبرقي وحريري وسندسي وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وزهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي وأكؤسي وعسلي ومائي ولبي وخمري فائتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحاً ولم يشرك بي شيئاً ولم يتخذ من دوني أندادا ، ومن خشيني فهو آمن ، ومن سألتني أعطيتني ، ومن أقرضني جزيتني ، ومن توكل على كفيته ، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف اليعاد ، وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت قد رضيت قال ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً أو وجد ريحاً خبيثة فقال . « ما هذه الريح يا جبريل وما هذا الصوت ؟ » فقال هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسل وأغلال وسعيري وحيمي وضريعي وغساقى وعذابى وقد بعد قمرى واشتد حرى فائتني بما وعدتني ، قال لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة . وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب . قالت قد رضيت ، قال ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى الصخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال محمد ﷺ قالوا أو قد أرسل إليه قال نعم قالوا حياهم الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء . قال ثم لقي أرواح الأنبياء فأنشوا على ربهم فقال إبراهيم عليه السلام : الحمد لله الذى اتخذنى خليلاً وأعطانى ملكاً عظيماً وجعلنى أمة قانتاً يؤتمن بي وأنقذنى من النار وجعلها على برداً وسلاماً ثم إن موسى عليه السلام أتى على ربه فقال : الحمد لله الذى كلفنى تكليماً وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بنى إسرائيل على يدي وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون . ثم إن داود عليه السلام أتى على ربه فقال : الحمد لله الذى جعل لى ملكاً عظيماً وعلمنى الزبور والآن لى الحديد وسخر لى الجبال يسبحن والطير وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب ثم إن سليمان عليه السلام أتى على ربه فقال : الحمد لله الذى سخر لى الرياح وسخر لى الشياطين يعملون لى ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وعلمنى منطق الطير وآتانى من كل شيء فضلاً وسخر لى جنود الشياطين والإنس والطير وفضلنى على كثير من عباد المؤمنين ، وآتانى ملكاً عظيماً لا ينبغى لأحد من بعدى وجعل ملكى ملكاً طيباً ليس فيه حساب . ثم إن عيسى عليه السلام أتى على ربه عز وجل فقال : الحمد لله الذى جعلنى كلمته وجعل مثلى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلنى أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وجعلنى أبرىء الأكمة والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ورفعنى وطهرنى وأعزنى وأمى من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل . قال ثم إن محمداً ﷺ أتى على ربه عز وجل فقال « كلّم أئني على ربه وإني متن على ربي فقال : الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً وأنزل على الفرقان فيه بيان لكل شيء وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتى أمة وسطاً وجعل أمتى هم الأولين وهم الآخرين وشرح لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحاً وخاتماً » فقال إبراهيم عليه السلام : بهذا فضلكم محمد ﷺ ، قال أبو جعفر الرازى خاتم النبوة فاتح بالشفاعة يوم القيامة ، ثم أتى بأنية ثلاثة مغطاة أفواهاً فأتى بإناء منها فيه ماء فقيل له اشرب فشرب منه يسيراً ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن فقيل له اشرب فشرب منه حتى روى ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر فقيل له اشرب فقال لا أريده قد رويت ، فقال له جبريل أما إنها ستحرم على أمتك ولو شربت منها لم يتبعك من

أمتك إلا القليل ، قال ثم صعديه إلى السماء فاستفتح فقيل من هذا يا جبريل فقال محمد ، فقالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء ففتح لهما ، فدخل فاذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس عن يمينه باب يخرج منه ربح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ربح خبيثة فاذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله بكى وحزن فقلت يا جبريل من هذا الشيخ التام الخلق الذي لم ينقص من خلقه شيء وما هذان البابان ؟ فقال هذا أبوك آدم وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة فاذا نظر إلى من يدخل الجنة من ذريته ضحك واستبشر ، والباب الذي عن شماله باب جهنم إذا نظر إلى من يدخلها من ذريته بكى وحزن ، ثم صعده به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا معك ؟ فقال محمد رسول الله ، قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء فدخل فاذا هو برجل قد فضل على الناس في الحسن كما فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قال من هذا يا جبريل الذي قد فضل على الناس في الحسن ؟ قال هذا أخوك يوسف عليه السلام ، قال ثم صعده به إلى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء ، قال فدخل فاذا هو برجل قال من هذا يا جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء فدخل فاذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قال من هذا يا جبريل ومن هؤلاء حوله قال هذا هارون المحب وهؤلاء بنو إسرائيل ، ثم صعده به إلى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء قال فدخل فاذا هو برجل جالس فجاوزه فبكى الرجل فقال يا جبريل من هذا ، قال موسى ، قال فما باله يبكي ، قال يزعم بنو إسرائيل أنني أكرم بني آدم على الله عز وجل وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنيا وأنا في أخرى فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبي أمته ، قال ثم صعده به إلى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا ، قال جبريل قيل ومن معك قال محمد ، قالوا أو أرسل إليه قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيي جاء ، قال فدخل فاذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء فقام هؤلاء الدين في ألوانهم شيء فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم وجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم فقال يا جبريل من هذا الأشمط ثم من هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الدين في ألوانهم شيء وما هذه الأنهار التي دخلوا فيها فجاءوا وقد صفت ألوانهم ، قال هذا أبوك إبراهيم أول من شمط على وجه الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الدين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار فأولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث سقام ربهم شراباً طهوراً ، قال ثم انتهى إلى السدرة فقيل له هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك . فاذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعة أيام لا يقطعها والورقة منها تعطي الأمة كلها قال فغسبها نور الخلاق عز وجل

وغشيها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة، من حب الرب تبارك وتعالى ، قالوا فكلمه الله عند ذلك فقال له سل ، فقال إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وأعطيته ملكاً عظيماً وكتبت موسى تكليماً ، وأعطيت داود ملكاً عظيماً وألنت له الحديد ، وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكاً وسخرت له الجن والإنس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيت له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يري الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذنك وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل ، فقال له الرب عز وجل وقد اتخذتك خليلاً - وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن - وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك . ورفعت لك ذكرك ، فلا ذكر إلا ذكر معي ، وجعلت أمتك خيراً أمة أخرجت للناس ، وجعلت أمتك أمة وسطاً ، وجعلت أمتك هم الأولين وهم الآخرين وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى ، وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم وجعلت أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً ، وأولهم يقضى له ، وأعطيتك سبعاً من المثاني لم يعطها نبي قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبياً قبلك ، وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلت فاتها خاتماً ، فقال النبي ﷺ « فضلتى ربي بست : أعطاني فواتح الكلام وخواتيمه وجوامع الحديث ، وأرسلني إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً . وقذف في قلوب أعدائي الرعب من مسيرة شهر ، وأحللت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض كلها طهوراً ومسجداً » قال وفرض عليه خمسين صلاة . فلما رجع إلى موسى قال بهم أمرت يا محمد ، قال بخمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم فقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال فرجع النبي ﷺ إلى ربه عز وجل فأسأله التخفيف فوضع عنه عشرة ثم رجع إلى موسى فقال له بهم أمرت قال بأربعين قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم ولقد لقيت من بني إسرائيل شدة : قال فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه فأسأله التخفيف فوضع عنه عشرة فرجع إلى موسى فقال بهم أمرت قال أمرت بثلاثين . فقال له موسى ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بني إسرائيل شدة . قال فرجع إلى ربه فأسأله التخفيف فوضع عنه عشرة فرجع إلى موسى فقال بهم أمرت قال أمرت بعشرين قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال فرجع إلى ربه عز وجل فأسأله التخفيف فوضع عنه عشرة فرجع إلى موسى فقال بهم أمرت قال أمرت بعشر ، قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من إسرائيل شدة ، قال فرجع على حياء إلى ربه فأسأله التخفيف فوضع عنه خمسا فرجع إلى موسى عليه السلام فقال بهم أمرت قال أمرت بخمس ، قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال قدرجعت إلى ربي حتى استحيت فما أناب راجع اليه ، قيل أما إنك كصبرت نفسك على خمس صلوات فإنهن يجزين عنك خمسين صلاة فإن كل حسنة بعشر أمثالها ، قال فرضني محمد ﷺ كل الرضا ، قال وكان موسى عليه السلام من أشدهم عليه حين مر به وخيرهم له حين رجع اليه . ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبيد الله عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية أو غيره شك أبو جعفر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بمعناه وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي عن أبي سعيد الماليني عن ابن عدي عن محمد بن الحسن السكوني البالى بالرملة حدثنا علي بن سهل فذكره مثل ما رواه ابن جرير عنه ، وذكر البيهقي أن الحاكم أبا عبد الله رواه عن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعرائي عن جدته عن إبراهيم بن حمزة الزيري عن حاتم بن إسماعيل حدثني عيسى بن ماهان يعني أبا جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره . وقال ابن أبي حاتم ذكر أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن عمير حدثنا يونس بن بكير حدثنا عيسى بن عبد الله التميمي عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس البكري عن أبي العالية أو غيره شك عيسى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام )

فذكر الحديث بطوله كنعو مما سقناه ( قلت ) وأبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازي بهم في الحديث كثيراً وقد ضعفه غيره أيضاً ووثقه بعضهم ، والظاهر أنه سيء الحفظ ففياً تفرد به نظر . وهذا الحديث في بعض ألفاظه غرابة ونسكاره شديدة وفيه شيء من حديث المنام في رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري ويشبه أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء والله أعلم

وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « حين أسرى بي لقيت موسى عليه السلام — فنعته فإذا رجل حسبته قال — مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة ، قال ولقيت عيسى — فنعته النبي ﷺ قال — ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس — يعني حمام قال — ولقيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به قال وأتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر قليل لي خذ أيهما شئت فأخذت اللبن فشربت فقبل لي هديت الفطرة — أو أصبت الفطرة — أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك » وأخرجه من وجه آخر عن الزهري به نحوه وفي صحيح مسلم عن محمد بن رافع عن الحسين بن المثنى عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألوني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كرباً ما كربت مثله قط فرفعه الله إلى أنظر إليه ما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء وإذا موسى قائم يصلي وإذا هو رجل جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس شها به عروة بن مسعود الثقفي وإذا إبراهيم قائم يصلي أقرب الناس شها به صاحبكم — يعني نفسه — فحانت الصلاة فأمتهم فلما فرغت قال قائل يا محمد هذا مالك خازن جهنم فأنفت إليه فبدأني بالسلام » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت ليلة أسرى بي لما انتهيت إلى السماء السابعة فنظرت فوق فإذا رعد وبرق وصواعق قال وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحياة ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء آكلوا الربا فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل مني فإذا أنا برهق ودخان وأصوات فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هذه الشياطين يهومون على أعين بني آدم لا يتفكرون في ملكوت السموات والأرض ولولا ذلك لرأوا العجائب » ورواه الإمام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة به ورواه ابن ماجه من حديث حماد به (رواية جماعة من الصحابة ممن تقدم وغيرهم) قال الحافظ البيهقي حدثنا أبو عبد الله يعني الحاكم حدثنا عبد الله بن يزيد بن يعقوب الدقاق الهمداني حدثنا إبراهيم بن الحسين الهمداني حدثنا أبو محمد هو إسماعيل بن موسى الفزاري حدثنا عمر بن سعد النضري من بني نضرة بن معين حدثني عبد العزيز وليس بن أبي سلمة وسلمان الأعمش وعطاء بن السائب بعضهم يزيد في الحديث على بعض عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعن محمد بن إسحاق بن يسار عن محمد بن عمار عن عبد الله بن مسعود العقيلي عن عامر الشعبي عن عبد الله بن مسعود وجوير عن الضحاك بن مزاحم قالوا كان رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ راقداً وقد صلى العشاء الآخرة قال أبو عبد الله الحاكم قال لنا هذا الشيخ وذكر الحديث فكتبت المتن من نسخة مسموعة منه فذكر حديثنا طويلاً يذكر فيه عدد الدرج والملائكة وغير ذلك مما لا ينكر شيء منها في قدرة الله إن صحت الرواية . قال البيهقي فيما ذكرنا قبل في حديث أبي هارون العبدى في إثبات الإسراء والمعراج كفاية وبالله التوفيق ( قلت ) وقد أرسل هذا الحديث غير واحد من التابعين وأئمة المفسرين رحمة الله عليهم أجمعين (رواية عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها) قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني مكرم بن أحمد القاضي حدثني إبراهيم بن الهيثم البكري حدثني محمد بن كثير الصنعاني حدثنا معمر بن راشد عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت لما أسرى برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك ؟ يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس فقال أو قال ذلك ؟ قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا فتصدق أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ، قال نعم إنى لأصدق فيما هو أبعد من ذلك أصدق في خبر

السما في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصديق ﴿ رواية أم هانئ بنت أبي طالب ﴾ قال محمد بن إسحق حدثني محمد بن محمد السائب الكلبي عن أبي صالح باذان عن أم هانئ بنت أبي طالب في مسرى رسول الله ﷺ أنها كانت تقول ما أسرى برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام وعنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال « يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين » الكلبي متروك عمرة ساقط لكن رواه أبو يعلى في مسنده عن محمد بن إسماعيل الأنصاري عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبي صالح عن أم هانئ بأبسط من هذا السياق فليكتبه هنا وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الأعلى بن أبي المساور عن عكرمة عن أم هانئ قالت بات رسول الله ﷺ ليلة أسرى به في بيتي ففقدته من الليل فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش فقال رسول الله ﷺ « إن جبريل عليه السلام أتاني فأخذ يدي فأخرجني فإذا على الباب دابة دون البغل وفوق الحمار فحملني عليها ثم انطلق حتى انتهى بي إلى بيت المقدس فأراني إبراهيم عليه السلام يشبه خلقه خلقي ويشبه خلقه وأراني موسى آدم طويلا سبط الشعر شبهته برجال أزد شنوءة ، وأراني عيسى بن مريم ربة أبيض يضرب إلى الحمرة شبهته بعروة بن مسعود الثقفي ، وأراني الدجال ممسوح العين اليمنى شبهته بقطن بن عبد العزى - قال - وأنا أريد أنا أخرج إلى قريش فأخبرهم بما رأيت » فأخذت شوبه فقلت إنى أذكرك الله إنك تأتي قومك يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك قالت فضرب ثوبه من يدي ثم خرج إليهم فأناهم وهم جلوس فأخبرهم ما أخبرني فقام جبير بن مطعم فقال يا محمد أن لو كنت لك شأن كما كنت ما تكلمت بما تكلمت به وأنت بين ظهرائنا . فقال رجل من القوم يا محمد هل مرت بإبل لنا في مكان كذا وكذا ؟ قال « نعم والله قد وجدتهم قد أضلوا بعيرا لهم فهم في طلبه » قال هل مرت بإبل لبني فلان ؟ قال « نعم وجدتهم في مكان كذا وكذا وقد أنكسرت لهم ناقة حمراء وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها » قالوا فأخبرنا عدتها وما فيها من الرعاة قال « قد كنت عن عدتها مشغولا » فقام فأوتى بالإبل فعددها وعلم ما فيها من الرعاة ثم أتى قريشاً فقال لهم « سألتوني عن إبل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة فلان وفلان وسألتوني عن إبل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة ابن أبي قحافة وفلان وفلان وهي تصبحكم بالغداة على الثانية » قال فعددوا على الثانية ينظرون أصدقهم ما قال فاستقبلوا الإبل فسألوه هل ضل لكم بعير ؟ فقالوا نعم فسألوا الآخر هل انكسرت لكم ناقة حمراء قالوا نعم قالوا فهل كانت عندكم قصعة قال أبو بكر أنا والله وضعتها فما شربها أحد ولا أهراقوه في الأرض فصدقه أبو بكر وآمن به فسمى يومئذ الصديق

﴿ فصل ﴾ وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة ، وإن اختلف عبارات الرواة في أدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة فأثبت اسرأت متعددة فقد أهد وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ولم يتحصل على مطلب . وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ومرة من مكة إلى السماء فقط ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء وفرج بهذا المسلك وأنه قد ظفر بشيء يخلص به من الاشكالات وهذا بعيد جدا ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي صلى الله عليه وسلم به أمته ولنقله الناس على التعدد والتكرار . قال موسى بن عقبة عن الزهري كان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكذا قال عروة وقال السدي بسنة عشر شهرا والحق أنه عليه السلام أسرى به يقظة لا مناما من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السموات السبع فلتقاه من كل صماء

مقربوها وسلم على الأنبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم في السادسة وإبراهيم الخليل في السابعة ثم جاوز منزلتهما صلى الله وسلم وعليهما وعلى سائر الأنبياء حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام أى أقلام القدر بما هو كائن ورأى سدرة المنتهى وغشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة وغشيها الملائكة ورأى هناك جبريل على صورته وله ستائة جناح ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق . ورأى البيت المعمور وإبراهيم الخليل باى الكعبة الأرضية مسند ظهره إليه لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة . ورأى الجنة والنار وفرض الله عليه هناك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده وفى هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها . ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لمأخات الصلاة . ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أهم في السماء والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه . والظاهر أنه بعد رجوعه إليه لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً وهو يخبره بهم وهذا هو اللائق لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناح العلوى ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ثم لما فرغ من الذى أريد به اجتمع به هو وإخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له في ذلك . ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله سبحانه وتعالى أعلم وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل أو اللبن والحجر ، أو اللبن والماء أو الجميع فقد ورد أنه في بيت المقدس وجاء أنه في السماء . ويحتمل أن يكون ههنا وههنا لأنه كالضيافة للقدامى والله أعلم ثم اختلف الناس هل كان الاسراء بيده عليه السلام وروحه أو بروحه فقط على قولين فالأكثر من العلماء على أنه أسرى بيده وروحه يقظة لا مناما ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك مناما ثم رآه بعده يقظة لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح والدليل على هذا قوله تعالى ( سبحانه الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ) فالتسريح إنما يكون عند الأمور العظام فلو كان مناما لم يكن فيه كبير شىء ولم يكن مستعظماً ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم ، وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال ( أسرى بعبده ليلاً ) وقال تعالى ( وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ) قال ابن عباس هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به والشجرة للنعونة هى شجرة الزقوم . رواه البخارى ، وقال تعالى ( ما زاغ البصر وما طغى ) والبصر من آلات الذات لا الروح وأيضاً فإنه حمل على البراق وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان وإنما يكون هذا للبدن لا للروح لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه والله أعلم . وقال آخرون بل أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بروحه لا بجسده قال محمد بن إسحق بن يسار فى السيرة حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبى سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال : كانت رؤيا من الله صادقة . وحدثني بعض آل أبى بكر أن عائشة كانت تقول ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن أسرى بروحه . قال ابن إسحق فلم ينكر ذلك من قولها لقول الحسن إن هذه الآية نزلت ( وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ) ولقول الله فى الخبر عن إبراهيم ( إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ) قال ثم مضى على ذلك فعرفت أن الوحى يأتى للأنبياء من الله أيقاظاً ونياما فكان رسول الله ﷺ يقول « تمام عيناي وقلبي يقظان » والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه وعان من الله فيه ما عان على أى حالاته كان نائماً أو يقظاناً كل ذلك حق وصدق انتهى كلام ابن إسحق . وقد تعقبه أبو جعفر بن جرير فى تفسيره بالرد والانكار والتشنيع بأن هذا خلاف ظاهر سياق القرآن وذكر من الأدلة على رده بعض ما تقدم والله أعلم بالفائدة حسنة جليلة روى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني فى كتاب دلائل النبوة من طريق محمد بن عمر الواقدي حدثني مالك بن أبى الرجال عن عمر بن عبد الله عن محمد بن كعب القرظى . قال بعث رسول الله ﷺ دخية بن خليفة إلى فيصر فذكر وروده عليه وقدمه إليه ، وفى السياق دلالة عظيمة على وقور عقل هرقل ثم استدعى من بالشام من التجار فجاءه بأبى سفيان

صخر بن حرب وأصحابه فسألهم عن تلك المسائل المشهورة التي رواها البخاري ومسلم كما سيأتي بيانه وجعل أبو سفيان يجهد أن يحقر أمره ويصغره عنده . قال في هذا السياق عن أبي سفيان والله ما معني من أن أقول عليه قولاً أسقطه من عينه إلا أنني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها علي ولا يصدقني في شيء . قال حتى ذكرت قوله ليلة أسرى به قال فقلت أيها الملك ألا أخبرك خبراً تعرف أنه قد كذب ؟ قال وما هو ، قال قلت إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح . قال وبطريق إيلياء عند رأس قيصر فقال بطريق إيلياء قد علمت تلك الليلة قال فنظر إليه قيصر وقال وما علمك بهذا قال إني كنت لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد فلما كان تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبنى فاستعنت عليه بعالمي ومن يحضرنى كلهم معالجة فغلبننا فلم نستطع أن نحركه كأنما زاول به جبلاً فدعوت إليه النجاجة فنظروا إليه فقالوا إن هذا الباب سقط عليه النجاف والبيان ولا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين آني . قال فرجعت وتركت البابين مفتوحين . فلما أصبحت غدوت عليهما فإذا الحجر الذي في زاوية المسجد مثقوب وإذا فيه أثر مربوط الدابة قال فقلت لأصحابي ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي ، وقد صلى الليلة في مسجدنا واذكر تمام الحديث (فائدة) قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه ﴿التنوير في مولد السراج المنير﴾ وقد ذكر حديث الاسراء من طريق أنس وتكلم عليه فأجاد وأفاد ثم قال : وقد تواترت الروايات في حديث الاسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرط وأبي حبة وأبي ليلي الأنصاريين وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة وأبي أيوب وأبي أمامة وسمره بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومي وأم هانئ وعائشة وأسماء بنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين ، منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع في السانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون ( يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون )

﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا \* ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾

لما ذكر تعالى أنه أسرى بعبد محمد ﷺ عطف به ذكر موسى عبده ورسوله وكليمه أيضاً فإنه تعالى كثيراً ما يقرب بين ذكر موسى ومحمد عليهما من الله الصلاة والسلام وبين ذكر التوراة والقرآن ولهذا قال بعد ذكر الاسراء ( وآتيناهم الكتاب ) يعني التوراة ( وجعلناه ) أي الكتاب ( هدى ) أي هادياً ( لبني إسرائيل أن لا يتخذوا ) أي لا يتخذوا ( من دوني وكيلاً ) أي ولياً ولا نصيراً ولا معبوداً دوني لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبدوه وحده لا شريك له ثم قال ( ذرية من حملنا مع نوح ) تقديره يذرية من حملنا مع نوح فيه تهيسج وتنبيه على المنة أي يأسللة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة تشبهوا بأبيكم ( إنه كان عبداً شكوراً ) فاذكروا أتم نعمتي عليكم يارسالي إليكم محمداً صلى صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الحديث وفي الأثر عن السلف أن نوحاً عليه السلام كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله فلهمذا سمي عبداً شكوراً . قال الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي حصين عن عبد الله بن سنان عن سعد بن مسعود الثقفي قال إنما سمي نوح عبداً شكوراً لأنه كان إذا أكل أو شرب حمد الله وقال الإمام أحمد حدثنا أبو أسامة حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن أبي بردة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشرية فيحمد الله عليها » وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق أبي أسامة به ، وقال مالك عن زيد بن أسلم كان محمد الله على كل حال ، وقد ذكر البخاري هنا حديث أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

«أناسيد ولد آدم يوم القيامة - بطوله ، وفيه - فيأتون نوحا فيقولون يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدا شكورا فاشفع لنا إلى ربك» وذكر الحديث بكامله

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفُسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا \* فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا \* ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا \* إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُمْتَكِرُوا مَاعْلُوا تَثْبِيرًا \* عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾

غُيِّرَ تَعَالَى أَنَّهُ قَضَىٰ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ أَي تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرَهُمْ فِي الْكِتَابِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ سَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَيَعْلُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا أَي يَتَجَبَّرُونَ وَيَطْفُونَ وَيُفْجِرُونَ عَلَى النَّاسِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ( وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ) أَي تَقَدَّمْنَا إِلَيْهِ وَأَخْبَرْنَاهُ بِذَلِكَ وَأَعْلَمْنَاهُ بِهِ . وَقَوْلُهُ ( فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ) أَي أُولَى الْإِفْسَادَيْنِ ( بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ ) أَي سَلَطْنَا عَلَيْكُمْ جُنْدًا مِنْ خَلْقْنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ أَي قُوَّةٌ وَعُدَّةٌ وَسُلْطَنَةٌ شَدِيدَةٌ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ أَي تَمَلَّكُوا بِلَادَكُمْ وَسَلَكُوا خِلَالَ بِيُوتِكُمْ أَي بَيْنَهَا وَوَسَطِهَا وَانصَرَفُوا ذَاهِبِينَ وَجَائِثِينَ لَا يَخَافُونَ أَحَدًا وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا . وَقَدْ اختلف المفسرون من السلف والخلف في هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ مَنْ هُمْ ؟ فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ أَنَّهُ جَالُوتُ الْجَزْرِيِّ وَجُنُودُهُ سَلَطَ عَلَيْهِمْ أَوْلَادُ أَدِيالٍ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ . وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَلِهَذَا قَالَ ( ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ) الْآيَةُ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ أَنَّهُ مَلِكُ الْمَوْصِلِ سَنْجَارِيبَ وَجُنُودُهُ وَعَنْهُ أَيْضًا وَعَنْ غَيْرِهِ أَنَّهُ بَخْتَنْصَرُ مَلِكُ بَيْلَ وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ لَهُ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ فِي كَيْفِيَّةِ تَرْقِيهِ مِنْ حَالِهِ إِلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ مَلَكَ الْبِلَادَ وَأَنَّهُ كَانَ قَبْرًا مَقْعَدًا ضَعِيفًا يَسْتَعْطَى النَّاسَ وَيَسْتَطْعِمُهُمْ ثُمَّ آلَ بِهِ الْحَالُ إِلَى مَا آلَ وَأَنَّهُ سَارَ إِلَى بِلَادِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَتَلَ بِهَا خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَزِيرٍ فِي هَذَا الْمَكَانِ حَدِيثًا أُسْنَدُهُ عَنْ حَذِيفَةَ مَرْفُوعًا مَطْوُولًا وَهُوَ حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ لَا يَحْتَمِلُ إِسْتِرْبَاطَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِهِ أَدْنَى مَعْرِفَةٍ بِالْحَدِيثِ وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ كَيْفَ رَاجَ عَلَيْهِ مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَإِمَامَتِهِ وَقَدْ صَرَّحَ شَيْخُنَا الْحَافِظُ الْعَلَامَةُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمَزْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ مَوْضُوعٌ مَكْذُوبٌ وَكُتِبَ ذَلِكَ عَلَى حَاشِيَةِ الْكِتَابِ . وَقَدْ وَرَدَتْ فِي هَذَا آثَارٌ كَثِيرَةٌ إِسْرَائِيلِيَّةٌ لَمْ أَرُ تَطْوِيلَ الْكِتَابِ بِذِكْرِهَا لِأَنَّ مِنْهَا مَا هُوَ مَوْضُوعٌ مِنْ وَضْعِ بَعْضِ زَنَادِقِهِمْ وَمِنْهَا مَا قَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا وَنَحْنُ فِي غَنِيَّةٍ عَنْهَا وَاللَّهُ الْمُحَمَّدُ . وَفِي قِصَّةِ اللَّهِ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ غَنِيَّةٌ عَمَّا سِوَاهُ مِنْ بَقِيَّةِ الْكِتَابِ قَبْلَهُ وَلَمْ يَخُوجْنَا اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ . وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَمَّا طُفُوا وَيَعُوا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ فَاسْتَبَاحَ بِيضَتَهُمْ وَسَلَّكَ خِلَالَ بِيُوتِهِمْ وَأَذْلَهُمْ وَقَهَرَهُمْ جَزَاءً وَفَاقًا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ فَانْتَبَهُوا قَدِ تَمَرَّدُوا وَقَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ حَدِيثِي يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي سَلْمَانَ بْنُ بِلَالٍ عَنِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيْبِ يَقُولُ : ظَهَرَ بَخْتَنْصَرُ عَلَى الشَّامِ فَخَرَّبَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَقَتَلَهُمْ ثُمَّ آتَى دِمَشْقَ فَوَجَدَهَا دَمَا يَغْلِي عَلَى كِبَا فَسَأَلَهُمْ مَا هَذَا الدَّمُ : فَقَالُوا أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذَا وَكَلِمًا ظَهَرَ عَلَيْهِ الْبُكَاءُ ظَهَرَ قَالَ قَتَلَ عَلَى ذَلِكَ الدَّمِ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ فَسَكَنَ وَهَذَا صَحِيحٌ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ وَهَذَا هُوَ الشُّهُورُ وَأَنَّهُ قَتَلَ أَشْرَافَهُمْ وَعُلَمَاءَهُمْ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ يَحْفَظُ التَّوْرَةَ وَأَخَذَ مَعَهُ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا أُسْرِيَ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ وَجَرَّتْ أُمُورٌ وَكَوَانِنٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا وَلَوْ وَجَدْنَا مَا هُوَ صَحِيحٌ أَوْ مَا يُقَارِبُهُ لِحَاجِ كِتَابَتِهِ وَرِوَايَتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ( إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ) أَي فَعَلِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَهَا )

وقوله ( فإذا جاء وعد الآخرة ) أى الكرة الآخرة أى إذا أفسدتم الكرة الثانية وجاء أعداؤكم ( ليسوءوا وجوهكم ) أى يهينوكم ويقهروكم ( وليدخلوا المسجد ) أى بيت المقدس ( كما دخلوه أول مرة ) أى فى التى جاسوا فيها لخالل الديار ( وليتبروا ) أى يدمروا ويغربوا ( ما علوا ) أى ماظفروا عليه ( تقيراً \* عسى ربكم أن يرحمكم ) أى فيصرفهم عنكم ( وإن عدتم عدنا ) أى متى عدتم إلى الافساد ( عدنا ) إلى الإدالة عليكم فى الدنيا مع ماندخره لكم فى الآخرة من العذاب والنكال ، ولهذا قال ( وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ) أى مستقراً ومحصراً وسجنالاً محيد لهم عنه قال ابن عباس حصيراً أى سجنالاً وقال مجاهد يحصرون فيها وكذا قال غيره ؛ وقال الحسن فراشا ومهادا ، وقال قتادة قد عاد بنو إسرائيل فسلط الله عليهم هذا الحى محمد ﷺ وأصحابه يأخذون منهم الجزية عن يدهم صاغرون

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا \* وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

مدح تعالى كتابه العزيز الذى أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن بأنه يهدى لأقوم الطرق وأوضح السبل ويبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات على مقتضاه أن لهم أجرا كبيرا أى يوم القيامة وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أى ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن لهم عذابا أليما أى يوم القيامة كما قال تعالى ( فبشرهم بعذاب أليم )

﴿ وَيَذَعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾

يخبر تعالى عن عجلة الإنسان ودعائه فى بعض الأحيان على نفسه أو أولاده أو ماله بالشر أى بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه كما قال تعالى ( ولو يجعل الله للناس الشر ) الآية وكذا فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة وقد تقدم فى الحديث « لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم أن توافقوا من الله ساعة إجابة يستجيب فيها » وإنما يحمل ابن آدم على ذلك قلقه وعجلته ولهذا قال تعالى ( وكان الإنسان عجولاً ) وقد ذكر سلمان الفارسى وابن عباس ههنا قصة آدم عليه السلام حين هم بالنهوض قائما قبل أن تصل الروح إلى رجليه وذلك أنه جاءته النفخة من قبل رأسه فلما وصلت إلى دماغه عطس فقال الحمد لله فقال الله : يرحمك ربك يا آدم . فلما وصلت إلى عينيه فتحتها فلما سرت إلى أعضائه وجسده جعل ينظر إليه ويعجبه فهم بالنهوض قبل أن تصل إلى رجليه فلم يستطع ، وقال يارب عجل قبل الليل

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَّوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانَةٌ تَفْصِيلًا ﴾

يتمن تعالى على خلقه بآياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا فى الليل وينتسروا فى النهار للمعاش والصنائع والأعمال والأسفار وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام ويعرفوا مضى الآجال الضرورية للديون والعبادات والمعاملات والاجارات وغير ذلك ولهذا قال ( لتبتغوا فضلا من ربكم ) أى فى معاشكم وأسفاركم ونحو ذلك ( ولتعلموا عدد السنين والحساب ) فإنه لو كان الزمان كله نسقا واحداً وأسلوباً متساوياً لما عرف شيء من ذلك كما قال تعالى ( قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتىكم بضياء ؟ أفلا تسمعون \* قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون \* ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ) وقال تعالى ( تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقراناً منيراً وهو الذى جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ) وقال تعالى ( وله اختلاف الليل والنهار ) وقال ( يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل

يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) وقال تعالى ( فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ) وقال تعالى ( وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ) ثم إنه تعالى جعل الليل آية أى علامة يعرف بها وهى الظلام وظهور القمر فيه ، وللنهار علامة وهى النور وطلوع الشمس النيرة فيه وفاوت بين نور القمر وضياء الشمس ليعرف هذا من هذا كما قال تعالى ( هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق - إلى قوله - آيات لقوم يتقون ) وقال تعالى ( يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج ) الآية قال ابن جريج عن عبد الله ابن كثير فى قوله ( فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ) قال ظلمة الليل وسدف النهار وقال ابن جريج عن مجاهد الشمس آية النهار والقمر آية الليل ( فمحونا آية الليل ) قال : السواد الذى فى القمر وكذلك خلقه الله تعالى وقال ابن جريج قال ابن عباس كان القمر يضىء كما تضىء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار فمحونا آية الليل السواد الذى فى القمر وقدروى أبو جعفر بن جرير من طرق متعددة جيدة أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال يا أمير المؤمنين ماهذه اللطخة التى فى القمر فقال ويحك أما تقرأ القرآن ؟ فمحونا آية الليل فهذه محوه . وقال قتادة فى قوله ( فمحونا آية الليل ) كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذى فيه وجعلنا آية النهار مبصرة أى منيرة وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم . وقال ابن أبى نجیح عن ابن عباس ( وجعلنا الليل والنهار آيتين ) قال ليلا ونهارا كذلك خلقهما الله عز وجل

﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَةٌ لِطَيْرِهِ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ ﴿ أقرأ كتابك كفى

بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾

يقول تعالى بعد ذكر الزمان وذكر ما يقع فيه من أعمال بنى آدم ( وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ) وطائره هو ما طار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما من خير وشر ويلزم به ويجازى عليه ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره \* ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) وقال تعالى ( عن اليمين وعن الشمال قعيد \* ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ) وقال ( وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تعملون ) وقال ( إنما تجزون ما كنتم تعملون ) وقال ( من يعمل سوءا يجز به ) الآية والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره ويكتب عليه ليلا ونهارا صباحا ومساء . وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن أبى الزبير عن جابر سمعت رسول الله ﷺ يقول « لطائر كل إنسان فى عنقه » قال ابن لهيعة يعنى الطيرة ، وهذا القول من ابن لهيعة فى تفسير هذا الحديث غريب جدا والله أعلم . وقوله ( ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ) أى نجمع له عمله كله فى كتاب يعطاه يوم القيامة إما يمينه إن كان سعيدا أو بشماله إن كان شقيا منشورا أى مفتوحا يقرؤه هو وغيره فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره ( ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر \* بل الإنسان على نفسه بصيرة \* ولو ألقى معاذيره ) ولهذا قال تعالى ( اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ) أى إنك تعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك إلا ما عملت لأنك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئا مما كان منه . وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمى وقوله ( ألزمناه طائره فى عنقه ) إنما ذكر العنق لأنه عضو من الأعضاء لا نظير له فى الجسد ، ومن ألزم بشيء فيه فلا محيد له عنه كما قال الشاعر .

أذهب بها اذهب بها طوقها طوق الحمام

قال قتادة عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال « لا عدوى ولا طيرة وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » كذا رواه ابن جرير ، وقد رواه الإمام عبد بن حميد فى مسنده متصلا فقال : حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة عن أبى الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « طير كل عبد فى عنقه » وقال الإمام أحمد حدثنا على بن إسحق حدثنا عبد الله حدثنا ابن لهيعة حدثنى يزيد أن أبى الحخير حدثه أنه سمع عقبه بن عامر

رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال « ليس من عمل يوم إلا وهو يحتم عليه ، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة ياربنا عبدك فلان قد حبسته فيقول الرب جل جلاله : اخدموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت » إسناده جيد قوى ولم يخرجوه وقال معمر عن قتادة ( أزمناه طائره في عنقه ) قال عمله ( ونخرج له يوم القيامة ) قال نخرج ذلك العمل ( كتابا يلقاه منشورا ) قال معمر وتلا الحسن البصرى ( عن اليمين وعن الشمال قعيد ) يا ابن آدم بسطت لك صحيفةك ووكل بك ملكا كرىمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فأعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفةك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا اقرأ كتابك الآية فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك هذا من أحسن كلام الحسن رحمه الله

﴿ مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾

يخبر تعالى أن من اهتدى واتبع الحق واقتفى أثر النبوة فيما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه ( ومن ضل ) أى عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فإنما ينجى على نفسه وإنما يعود وبال ذلك عليه ثم قال ( ولا تزر وازرة وزر أخرى ) أى لا يحمل أحد ذنب أحد ولا ينجى جان إلا على نفسه كما قال تعالى ( وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ) ولا منافاة بين هذا وبين قوله ( وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ) وقوله ( ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ) فإن الدعاة عليهم إثم ضلالتهم في أنفسهم وإثم آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا من غير أن ينقص من أوزار أولئك ولا يحمل عنهم شيئا وهذا من عدل الله ورحمته بعباده وكذا قوله تعالى ( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) اخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحد إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه كقوله تعالى ( كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ) قالوا بلى قد جاء نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أتمم إلا في ضلال كبير ) وكذا قوله ( وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ) وقال تعالى ( وهم يصطرون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ، أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه ، ومن ثم طعن جماعة من العلماء في اللفظة التي جاءت معجزة في صحيح البخارى عند قوله تعالى ( إن رحمة الله قريب من المحسنين ) حدثنا عبد الله بن سعد حدثنا يعقوب حدثنا أنى عن صالح بن كيسان عن الأعرج بإسناده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اختصمت الجنة والنار » فذكر الحديث إلى أن قال « وأما الجنة فلا يظلم الله من خلقه أحدا وإنه ينشئ النار خلقا فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ؟ ثلاثا » وذكر تمام الحديث فهذا إنما جاء في الجنة لأنها دار فضل وأما النار فأنها دار عدل لا يدخلها أحد إلا بعد الاعتذار إليه وقيام الحجة عليه . وقد تكلم جماعة من الحفاظ في هذه اللفظة وقالوا لعله انقلب على الراوى بدليل ما أخرجه في الصحيحين واللفظ للبخارى من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ « تحاجت الجنة والنار » فذكر الحديث إلى أن قال « فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع فيها قدمه فتقول قط قط فهذا تمتلىء وينزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدا ، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا »

بقي ههنا مسألة قد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى فيها قديما وحديثا وهى الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار ماذا حكمهم وكذا المجنون والأصم والشيخ الحرف ومن مات في الفتره ولم تبلغه دعوته وقد ورد في شأنهم أحاديث أنا أذكرها لك بعون الله وتوفيقه ثم نذكر فصلا ملخصا من كلام الأئمة في ذلك والله المستعان ( فالحديث الأول ) عن الأسود

ابن سريـع قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود ابن سريـع أن رسول الله ﷺ قال « أربعة يخرجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً . ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة ، فأما الأصم فيقول رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول رب قد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر ، وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول . فإخدموا نبيهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ، فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً » وبالسناد عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مثله غير أنه قال في آخره « فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها يسحب إليها » وكذا رواه إسحق بن راهويه عن معاذ بن هشام ، ورواه البيهقي في كتاب الاعتقاد من حديث أحمد بن إسحق عن علي بن عبد الله المديني به وقال هذا إسناد صحيح ، وكذا رواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أربعة كلهم يدلي على الله بحجة » فذكر نحوه ، ورواه ابن جرير من حديث معمر بن همام عن أبي هريرة فذكره مرفوعاً ، ثم قال أبو هريرة فاقروا وإن شئتم ( وما كنا مدينين حتى نبعث رسولاً ) وكذا رواه معمر بن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة موقوفاً

( الحديث الثاني ) عن أنس بن مالك . قال أبو داود الطيالسي حدثنا الربيع عن يزيد هو ابن أنس قال : قلنا لأنس يا أبا حمزة ماتقول في أطفال المشركين ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ « لم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها فيكونوا من أهل النار ، ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من أهل الجنة »

( الحديث الثالث ) عن أنس أيضاً . قال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن ليث عن عبد الوارث عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالمولود والمعنوه ومن مات في الفترة والشيخ الفاني لهم كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من النار ابرز ويقول لهم إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم ادخلوا هذه قال : فيقول من كتب عليه الشقاء يارب أني ندخلها ومنها كنا نفر ؟ قال ومن كتب عليه السعادة يمضى فيقتحم فيها مسرعاً ، قال : فيقول الله تعالى أتم لرسلي أشد تكديباً ومعضية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار ، وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البرزاري عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد بإسناده مثله ( الحديث الرابع ) عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده أيضاً حدثنا قاسم بن أبي شيبه حدثنا عبد الله يعني ابن داود عن عمر بن زرع عن يزيد بن أمية عن البراء قال . سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المسلمين قال « هم مع آبائهم » وسئل عن أولاد المشركين فقال « هم مع آبائهم » فقيل يا رسول الله ما يعملون ، قال « الله أعلم بهم » ورواه عمر بن زرع عن يزيد بن أمية عن رجل عن البراء عن عائشة فذكره

( الحديث الخامس ) عن ثوبان قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البرزاري في مسنده حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا ریحان بن سعيد حدثنا عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان أن النبي ﷺ عظم شأن المسألة قال « إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزراهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل إلينا رسولاً ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسولاً لكاننا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرايتم إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيقولون نعم ، فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظاً وزفيراً فرجعوا إلى ربهم فيقولون ربنا أخرجنا أو أجرنا منها ، فيقول لهم ألم ترعوا أني إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيأخذ على ذلك مواعيقهم فيقول اعمدوا إليها فادخلوها فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا منها ورجعوا وقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها فيقول ادخلوها اذخرين » فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً » ثم قال البرزاري ومثن هذا الحديث غير معروف إلا من هذا الوجه لم يروه عن أيوب إلا عباد ولا عن عباد إلا ریحان بن سعيد ، قلت وقد ذكره ابن حبان في تقاته ، وقال يحيى بن معين والنسائي لأبأس به ولم يرضه أبو داود ، وقال أبو حاتم شيخ لأبأس به يكتب حديثه ولا يحتج به ( الحديث السادس ) عن

أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى : قال الإمام محمد بن يحيى الذهلى حدثنا سعيد بن سليمان عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الهالك في الفترة والمعتوه والمولود : يقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ، ويقول المعتوه رب لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا ولا شرا ، ويقول المولود رب لم أدرك العقل فترفع لهم نار فيقال لهم ردها ، قال فيردها من كان في علم الله سعيدا لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو أدرك العمل ، فيقول إياي عصيتم فكيف لو أن رسلي أتتكم ؟ » وكذا رواه البزار عن محمد بن عمرو بن هياج الكوفي عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق به ثم قال لا يعرف من حديث أبي سعيد إلا من طريقه عن عطية عنه ، وقال في آخره « فيقول الله إياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب » ( الحديث السابع ) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال هشام بن عمار ومحمد بن المبارك الصورى حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن جليس عن أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل عن نبي الله ﷺ قال « يؤتى يوم القيامة بالمسوخ عقلا وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً فيقول المسوخ يارب لو آتيتنى عقلا ما كان من آتيتنى عقلا بأسعد منى » وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك « فيقول الرب عز وجل إني أمرتكم بأمر فطيعوني ، فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار قال ولو دخلوها ماضرتهم فتخرج عليهم قواص . فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء فيرجعون سراعا ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك فيقول الرب عز وجل قبل أن أخلقكم علمت ما أتم عاملون وطى علمى خلقتكم وإلى علمى تصيرون ، ضمهم ، فتأخذهم النار » ( الحديث الثامن ) عن أبي هريرة رضى الله عنه وأرضاه . قد تقدم روايته مدرجة مع رواية الأسود ابن سريع رضى الله عنه وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ، » وفي رواية قالوا : يارسول الله أفرايت من يموت صغيراً ، قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » . وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت عن عطاء بن قره عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ فيما أعلم شك موسى قال « ذرارى المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال « إني خلقت عبادى حنفاء » وفي رواية لغيره « مسلمين » ( الحديث التاسع ) عن سمرة رضى الله عنه رواه الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه المستخرج على البخارى من حديث عوف الأعرابي . عن أبي رجاء العطاردي عن سمرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة » فناداه الناس يارسول الله وأولاد المشركين ، قال « وأولاد المشركين » وقال الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبه ابن مكرم الضبي عن عيسى بن شعيب عن عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة قال سألتنا رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين فقال « هم خدم أهل الجنة »

( الحديث العاشر ) عن عم خنساء . قال أحمد حدثنا روح حدثنا عوف عن خنساء بنت معاوية عن يونس بن عيسى قال حدثني عمي قال : قلت يارسول الله من في الجنة ، قال « النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والوثيد في الجنة » . فمن العلماء من ذهب إلى الوقوف فيهم لهذا الحديث ، ومنهم من جزم لهم بالجنة لحديث سمرة بن جندب في صحيح البخارى أنه عليه الصلاة والسلام قال في جملة ذلك المنام حين مر على ذلك الشيخ تحت الشجرة وحوله ولدان فقال له جبريل هذا إبراهيم عليه السلام وهؤلاء أولاد المسلمين . وأولاد المشركين قالوا يارسول الله وأولاد المشركين ، قال « نعم وأولاد المشركين » ومنهم من جزم لهم بالنار لقوله عليه السلام « هم مع آبائهم » ومنهم من ذهب إلى أنهم يتمتعون يوم القيامة في العرصات فمن أطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ، ومن عصى دخل النار داخرا وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة . وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها وقد صرح به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض : وهذا القول هو الذى حكاه الشيخ أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة وهو الذى نصره الحافظ أبو بكر البهقي في كتاب الاعتقاد وكذلك وغيره من محققى العلماء والحفاظ

والنقاد . وقد ذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمرى بعد ما تقدم من أحاديث الامتحان ثم قال ، وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا تقوم بها حجة وأهل العلم ينكرونها لأن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء فكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين والله لا يكلف نفساً إلا وسعها ﴿ والجواب ﴾ عما قال أن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء ومنها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن ، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها . وأما قوله إن الدار الآخرة دار جزاء فلا شك أنها دار جزاء ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الأطفال وقد قال تعالى ( يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود ) الآية ، وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة وأن المنافق لا يستطيع ذلك ويعود ظهره كالصفحة الواحدة طبقا واحداً كما أراد السجود خرق لقفاه . وفي الصحيحين في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجاً منها أن الله يأخذ عهوده ومواثيقه أن لا يسأل غير ما هو فيه ويتكرر ذلك مراراً ويقول الله تعالى يا ابن آدم ما أغدرك ثم يأذن له في دخول الجنة ، وأما قوله فكيف يكلفهم الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم فليس هذا بمنع من صحة الحديث فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط وهو جسر على جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم كالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب ومنهم الساعى ومنهم الماشى ومنهم من يحب حياً ومنهم المكدوش على وجهه في النار . وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا بل هذا أطم وأعظم ، وأيضاً فقد ثبتت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار ، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرى أنه نار فإنه يكون عليه برداً وسلاماً فهذا نظير ذلك ، وأيضاً فإن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم فقتل بعضهم بعضاً حتى قتلوا فيما قيل في غداة واحدة سبعين ألفاً يقتل الرجل أباه وأخاه وهم في عماية غمامة أرسلها الله عليهم وذلك عقوبة لهم على عبادتهم العجل وهذا أيضاً شاق على النفوس جدا لا يتقاصر عما ورد في الحديث المذكور والله أعلم . ﴿ فصل ﴾ إذا تقرر هذا فقد اختلف الناس في ولدان المشركين على أقوال ﴿ أحدها ﴾ أنهم في الجنة واحتجوا بحديث سمرة أنه عليه السلام رأى مع إبراهيم عليه السلام أولاد المسلمين وأولاد المشركين وبما تقدم في رواية أحمد عن خنساء عن عمها أن رسول الله ﷺ قال « والمولود في الجنة » وهذا استدلال صحيح ولكن أحاديث الامتحان أخص منه . فمن علم الله منه أنه يطعم جعل روحه في البرزخ مع إبراهيم وأولاد المسلمين الذين ماتوا على الفطرة ، ومن علم منه أنه لا يجيب فأمره إلى الله تعالى ويوم القيامة يكون في النار كما دلت عليه أحاديث الامتحان ونقله الأشعري عن أهل السنة ، ثم إن هؤلاء القائلين بأنهم في الجنة منهم من يجعلهم مستقلين فيها ومنهم من يجعلهم خدماً لهم كما جاء في حديث علي بن زيد عن أنس عند أبي داود الطيالسي وهو ضعيف والله أعلم ( والقول الثاني ) أنهم مع آبائهم في النار واستدل عليه بما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي الغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة ابن حبيب حدثني عبد الله بن أبي قيس مولى غطيف أنه أتى عائشة فسألها عن ذراري الكفار فقالت: قال رسول الله ﷺ « هم تبع لآبائهم » فقلت يا رسول الله بلا أعمال ؟ فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وأخرجه أبو داود من حديث محمد بن محمد بن حرب عن محمد بن زياد الهماني سمعت عبد الله بن أبي قيس سمعت عائشة تقول سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المؤمنين قال « هم مع آبائهم » قلت فذراري المشركين ؟ قال « هم مع آبائهم » فقلت بلا عمل ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ورواه أحمد أيضاً عن وكيع عن أبي عقيل يحيى بن المتوكل وهو متروك عن مولاه بهية عن عائشة أنها ذكرت أطفال المشركين لرسول الله ﷺ فقال « إن شئت أممعتك تضاعفهم في النار » وروى عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل بن غزوان عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي بن رضى الله عنه قال : سألت خديجة رسول الله ﷺ عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال « هما في النار » قال فلما رأى الكراهية في وجهها فقال لها « لو رأيت مكانهما لأبغضتهما » قالت فوالذي منك ؟ قال

« إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ - ( والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان أحقنا بهم ذريتهم ) » وهذا حديث غريب فإن في إسناده محمد بن عثمان مجهول الحال وشيخه زاذان لم يدرك علياً والله أعلم . وروى أبو داود من حديث ابن أبي زائدة عن أبيه عن الشعبي قال : قال رسول الله ﷺ « الوائدة والموءودة في النار » ثم قال الشعبي حدثني به علقمة عن أبي وائل عن ابن مسعود ، وقد رواه جماعة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن قيس الأشجعي قال : أتيت أنا وأخي النبي ﷺ فقلنا إن أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم وإنما وأدت أختنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال « الوائدة والموءودة في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فتسلم » وهذا إسناد حسن

﴿ والقول الثالث ﴾ التوقف فيهم واعتمدوا على قوله صلى الله عليه وسلم « الله أعلم بما كانوا عاملين » وهو في الصحيحين من حديث جعفر بن أبي إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وكذلك هو في الصحيحين من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد ، وعن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سئل عن أطفال المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ومنهم من جعلهم من أهل الأعراف وهذا القول يرجع إلى قول من ذهب إلى أنهم من أهل الجنة لأن الأعراف ليس دار قرار ومآل أهلها إلى الجنة كما تقدم تقرير ذلك في سورة الأعراف والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وليعلم أن هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين ، فأما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء كما حكاه القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال : لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة وهذا هو المشهور بين الناس وهو الذي تقطعه إن شاء الله عز وجل . فأما ما ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن بعض العلماء أنهم توقفوا في ذلك وأن الولدان كلهم تحت المشيئة ، قال أبو عمر ذهب إلى هذا القول جماعة من أهل الفقه والحديث منهم حماد بن زيد وحماد ابن سلمة وابن المبارك وإسحق بن راهويه وغيرهم قالوا وهو يشبه ما رسم مالك في موطنه في أبواب القدر وما أورده من الأحاديث في ذلك ، وعلى ذلك أكثر أصحابه وليس عن مالك فيه شيء منصوص إلا أن التأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال المشركين خاصة في المشيئة انتهى كلامه وهو غريب جدا ، وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي في كتاب التذكرة نحو ذلك أيضا والله أعلم . وقد ذكروا في ذلك أيضاً حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت : دعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، فقال « أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم . وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم » رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه . ولما كان الكلام في هذه المسئلة يحتاج إلى دلائل صحيحة جيدة وقد يتكلم فيها من لا علم عند عن الشارع كره جماعة من العلماء الكلام فيها ، روى ذلك عن ابن عباس والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن الحنفية وغيرهم وأخرج ابن حبان في صحيحه عن جرير بن حازم سمعت أبا رجاء العطاردي سمعت ابن عباس رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال أمر هذه الأمة مواثيا أو مقاربا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر » قال ابن حبان يعني أطفال المشركين ، وهكذا رواه أبو بكر البرار من طريق جرير بن حازم به ثم قال وقد رواه جماعة عن أبي رجاء عن ابن عباس موقوفا

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدِمْنَا تَدْمِيرًا ﴾

اختلف القراء في قراءة قوله ( أمرنا ) فالشهور قراءة التخفيف واختلف المفسرون في معناها فقيل معناه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمراً قديراً كقوله تعالى ( أتاها أمرنا ليلاً ونهاراً ) إن الله لا يأمر بالفحشاء ، قالوا معناه أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب ، وقيل معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة رواه ابن جرير

عن ابن عباس وقاله سعيد بن جبيرة أيضاً ، وقال ابن جرير يحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء قلت إما يجيء هذا على قراءة من قرأ ( أمرنا مترفياً ) قال علي بن طلحة عن ابن عباس قوله ( أمرنا مترفياً ففسقوا فيها ) يقول سلطاناً أشرارها ففصوا فيها فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعداب وهو قوله ( وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرمين ) الآية وكذا قال أبو العالية ومجاهد والربيع بن أنس ، وقال العوفي عن ابن عباس ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفياً ففسقوا فيها ) يقول أكثرنا عددهم وكذا قال عكرمة والحسن والضحاك وقتادة ، وعن مالك عن الزهري ( أمرنا مترفياً ) أكثرنا ، وقد استشهد بعضهم بالحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو نعيم العدوي عن مسلم بن بديل عن إياس ابن زهير عن سويد بن هبيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة » قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه الغريب المأمورة كثيرة النسل والسكة الطريقة المصطفة من النخل والمأبورة من التأبير ، وقال بعضهم إنما جاء هذا متناسباً كقوله : « مأزورات غير مأجورات »

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى منذراً لكفار قريش في تكذيبهم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه قد أهلك أمما من المكذبين للرسول من بعد نوح ودل هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الإسلام كما قاله ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام . ومعناه أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق ففقتوبتكم أولى وأحرى . وقوله ( وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ) أي هو عالم بجميع أعمالهم خيراً وشرها لا يخفى عليه منها خافية سبحانه وتعالى .

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا \* وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾

يجبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء وهذه مقيدة لاطلاق ما سواها من الآيات فإنه قال ( عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم ) أي في الدار الآخرة ( يصلها ) أي يدخلها حتى تممره من جميع جوانبه ( مذموماً ) أي في حال كونه مذموماً على سوء تصرفه وصنيعه ، إذ اختار الفاني على الباقي ( مدحوراً ) مبعداً مقصياً حقيراً ذليلاً مهاناً . روى الإمام أحمد حدثنا حسين حدثنا رويد عن أبي إسحق عن زرعة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « الدنيا دار بين لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » وقوله ( ومن أراد الآخرة ) أي أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور ( وسعى لها سعيها ) أي طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ( وهو مؤمن ) أي قلبه مؤمن أي مصدق بالثوات والجزاء ( فأولئك كان سعيهم مشكوراً )

﴿ كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا \* أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَ لِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾

يقول تعالى ( كلا ) أي كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والدين أرادوا الآخرة نمدهم فيما فيه ( من عطاء ربك ) أي هو التصرف الحاكم الذي لا يجوز فيعطى كلاً ما يستحقه من السعادة والشقاوة فلا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى ولا مغير لما أراد ولهذا قال ( وما كان عطاء ربك محظوراً ) أي لا يمنعه أحد ولا يردده راد . قال قتادة ( وما كان عطاء ربك محظوراً ) أي منقوصاً ، وقال الحسن وغيره أي ممنوعاً ثم قال تعالى ( انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض )

بعضهم على بعض) أى فى الدنيا فمنهم الغنى والفقير وبين ذلك ، والحسن والقييح وبين ذلك ، ومن يموت صغيرا ، ومن يعمر حتى يبقى شيخا كبيرا ، وبين ذلك (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) أى ولتفاوتهم فى الدار الآخرة أكبر من الدنيا فإن منهم من يكون فى الدرجات فى جهنم وسلسلها وأغلالمها ، ومنهم من يكون فى الدرجات العلى ونعيمها وسرورها ، ثم أهل الدرجات يتفاوتون فيما هم فيه كما أن أهل الدرجات يتفاوتون فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وفى الصحيحين « إن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب النابر فى أفق السماء » ولهذا قال تعالى (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وفى الطبرانى من رواية زاذان عن سلمان مرفوعا « ما من عبد يريد أن يرتفع فى الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله فى الآخرة أكبر منها » ثم قرأ (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) .

﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾

يقول تعالى والمراد المكلفون من الأمة لا تجعل أيها المكلف فى عبادتك ربك له شريكا (فتقعده مذموما) أى على إشرائك به (مخذولا) لأن الرب تعالى لا ينصرك بل يكلتك إلى الذى عبدت معه وهو لا يملك لك ضرا ولا نفعا لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا بشير بن سليمان عن سيار أبي الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أرسل الله له بالنفى إما آجلا وإما غنى عاجلا » ورواه أبو داود والترمذى من حديث بشير بن سلمان به ، وقال الترمذى حسن صحيح غريب

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلَّةِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

يقول تعالى أمر بعبادته وحده لا شريك له فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر، قال مجاهد (وقضى) يعنى وصى ، وكذا قرأ أبى بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم (ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال (وبالوالدين إحسانا) أى وأمر بالوالدين إحسانا كقوله فى الآية الأخرى (أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير) وقوله (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما آف) أى لا تسمعهما قولا سيئا حتى ولا التأفيف الذى هو أدنى مراتب القول السيء (ولا تنهرهما) أى ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح كما قال عطاء بن أبى رباح فى قوله (ولا تنهرهما) أى لا تنفض يدك عليهما ، ولما نهى عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال (وقل لهما قولا كريما) أى لينا طيبا حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أى تواضع لهما بفعلك (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أى فى كبرهما وعند وفاتهما ، قال ابن عباس ثم أنزل الله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية وقد جاء فى بر الوالدين أحاديث كثيرة منها الحديث الروى من طرق عن أنس وغيره أن النبي ﷺ صعد للبر ثم قال « آمين آمين آمين » قيل يا رسول الله علام ماأمنت ؟ قال « أنانى جبريل فقال يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك ، قل آمين ، فقلت آمين ، ثم قال رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له ، قل آمين فقلت آمين ، ثم قال رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخله الجنة ، قل آمين ، فقلت آمين » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا على بن زيد عن زرارة بن أوفى عن مالك بن الحارث عن رجل منهم أنه سمع النبي ﷺ يقول « من ضم يتيما من أبوين

مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة ومن أعتق امرأ مسلماً كان فكاكه من النار يجزى بكل عضو منه عضواً منه » ثم قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد فذكر معناه إلا أنه قال عن رجل من قومه يقلل له مالك أو ابن مالك وزاد « ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله »

(حديث آخر) وقال الإمام أحمد حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن زرارة بن أوفى عن مالك بن عمرو القشيري سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار فإن كل

عظم من عظامه محررة بعظم من عظامه ، ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله عز وجل ، ومن ضم يتيماً من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله وجبت له الجنة » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج

ومحمد بن جعفر قالا حدثنا شعبة عن قتادة سمعت زرارة بن أوفى يحدث عن أبي مالك القشيري قال : قال النبي ﷺ « من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك فأبعده الله وأسحقه » ورواه أبو داود الطيالسي

عن شعبة به وفيه زيادات آخر (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه

أو كلاهما عنده الكبر ولم يدخل الجنة » صحيح من هذا الوجه ولم يخرجوه سوى مسلم من حديث أبي عوانة وجرير وسليمان بن بلال عن سهيل به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا ربيع بن إبراهيم قال أحمد وهو أخو إسماعيل

ابن علي وكان يفضل على أخيه عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان فانسخ فلم

يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة » قال ربيع لا أعلمه إلا قال « أو أحدهما » ورواه الترمذي عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن ربيع بن إبراهيم ثم قال غريب من هذا الوجه (حديث آخر) قال

الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا محمد حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل حدثنا أسيد بن علي عن أبيه عن أبي عبيد عن أبي أسيد وهو مالك بن ربيعة الساعدي قال بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من الأنصار

فقال يا رسول الله هل بقي على من برأبوي شيء بعد موتها أبرهما به ، قال « نعم خصال أربع : الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما فهو الذي بقي عليك

من برهما بعد موتها » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن سليمان وهو ابن الغسيل به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن عن أبيه عن

معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أردت الغزو وجئتك أستشيرك فقال « فهل لك من أم » قال نعم قال « فإزمها فإن الجنة عند رجليها » ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى كمثل هذا القول ، ورواه النسائي

وابن ماجه من حديث ابن جريج به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدم بن معديكرب عن النبي ﷺ قال « إن الله يوصيكم بآبائكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم

إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بالآقرب فالأقرب » وأخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عياش به .

(حديث آخر) قال أحمد حدثنا يونس حدثنا أبو عوانة عن أشعث بن سليم عن أبيه عن رجل من بني يربوع قال أتيت النبي ﷺ فسمعتة وهو يكلم الناس يقول « يد العطي العليا أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك »

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده حدثنا إبراهيم بن المستر العروقي حدثنا عمرو بن سفيان حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن ليث بن أبي سليم عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة

عن أبيه أن رجلاً كان في الطواف حاملاً يظوف بها فسأل النبي صلى الله عليه وسلم هل أدت حقها قال « لا ولا بزفرة واحدة » أو كما قال ثم قال البزار لانهلمه يروي إلا من هذا الوجه . قلت والحسن بن أبي جعفر ضعيف والله أعلم

﴿ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَسْكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾

قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به ، وفي رواية لا يريد إلا الخير بذلك فقال (ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين) وقوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال قتادة للمطيعين أهل الصلاة ، وعن ابن عباس المسبحين وفي رواية عنه المطيعين المحسنين ، وقال بعضهم هم الذين يصلون بين العشاءين وقال بعضهم هم الذين يصلون الضحى ، وقال شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ويصيبون الذنب ثم يتوبون ، وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري ومعمر عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب بنحوه وكذا رواه الليث وابن جرير عن ابن المسيب به وقال عطاء بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد هم الراجعون إلى الخير وقال مجاهد عن عبيد بن عمير في الآية هو الذي إذا ذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها وواقفه مجاهد في ذلك ، وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلمة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير في قوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال كنا نعد الأبواب الحفيظ أن يقول اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا . وقال ابن جرير والأولى في ذلك قول من قال هو التائب من الذنب الرجوع من المعصية إلى الطاعة مما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه ، وهذا الذي قاله هو الصواب لأن الأبواب مشتق من الأبواب وهو الرجوع يقال آب فلان إذا رجع قال تعالى (إن إلينا إيابهم) وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رجع من سفر قال « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون »

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۖ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾

لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام ، وفي الحديث « أمك وأباك ثم أدناك أدناك » وفي رواية « ثم الأقرب فالأقرب » وفي الحديث « من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن يعقوب حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال لما نزلت ( وآت ذا القربى حقه ) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاهما فدك ثم قال لانعم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيى التيمي وحמיד بن حماد بن الحوار وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده لأن الآية مكية وفدك إنما فتحت مع خير سنة سبع من الهجرة فكيف يلتزم هذا مع هذا ؟ فهو إذا حديث منكر والأشبه أنه من وضع الرافضة والله أعلم : وقد تقدم الكلام على المساكين وأبناء السبيل في سورة براءة بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقوله ( ولا تبذر تبذيراً ) لما أمر بالانفاق نهى عن الإسراف فيه بل يكون وسطاً كما قال في الآية الأخرى ( والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ) الآية ثم قال منفراً عن التبذير والسرف ( إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ) أي أشباههم في ذلك . قال ابن مسعود التبذير الانفاق في غير حق وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً ولو أنفق مداً في غير حق كان مبذراً . وقال قتادة: التبذير النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق والفساد . وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال أتى رجل من بني تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني ذومال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرني كيف أنفق وكيف أصنع ؟ فقال رسول الله ﷺ « تخرج الزكاة من مالك إن كان فانها طهرة تطهرك وتصل أقرباك وتعرف حق السائل والجار والمسكين » فقال يا رسول الله أقلل لي ؟ قال ( فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ) فقال حسبي يا رسول الله إذا أدت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله ﷺ

« نعم إذا أدبتها إلى رسولى فقد برئت منها ولك أجرها ، وإمها على من بدلها » وقوله ( إن البذرين كانوا إخوان الشياطين ) أى فى التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته ولهذا قال ( وكان الشيطان لربه كفوراً ) أى جحوداً لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته بل أقبل على معصيته ومخالفته ، وقوله ( وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ) الآية أى إذا سألك أقاربك ومن أمرناك باعطائهم وليس عندك شيء وأعرضت عنهم لفقد النفقة ( فقل لهم قولاً ميسوراً ) أى عدم وعدا بسهولة ولين إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله ، هكذا فسر قوله ( فقل لهم قولاً ميسوراً ) بالوعد : مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبیر والحسن وقتادة وغير واحد

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا \* إِنْ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِمِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى آمراً بالاقتصاد فى العيش ذاماً للبخل ناهياً عن السرف ( ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ) أى لا تكن بخيلاً ممنوعاً لا تعطى أحداً شيئاً كما قالت اليهود عليهم لعائن الله يد الله مغلولة أى نسبوه إلى البخل تعالى وتقدس الكريم الوهاب وقوله ( ولا تبسطها كل البسط ) أى ولا تسرف فى الانفاق فتعطى فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوماً محسوراً وهذا من باب اللف والنشر أى فتقعد إن بخلت ملوماً يأمرك الناس وينمونك ويستغنون عنك كما قال زهير بن أبى سلمى فى العاقبة

ومن كان ذا مال فيبخل بماله \* على قومه يستغن عنه وينهم

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شيء تنفقته فتكون كالחסير وهو الدابة التى قد عجزت عن السير فوقفت ضعفاً وعجزاً فانها تسمى الحسير وهو مأخوذ من السكلال كما قال ( فارجع البصر هل ترى من فطور \* ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ) أى كليل عن أن يرى عيباً هكذا فسر هذه الآية بأن المراد هنا البخل والسرف : ابن عباس والحسن وقتادة وابن جرير وابن زيد وغيرهم ، وقد جاء فى الصحيحين من حديثه ، أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « مثل البخل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من نديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بانه وتمفو أمره وأما البخل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسمها فلا تنسع » هذا لفظ البخارى فى الزكاة وفى الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبى بكر قالت : قال رسول الله ﷺ « انفق هكذا وهكذا وهكذا ولا توعى فيوعى الله عليك ولا توكل فيوكل الله عليك » وفى لفظ « ولا تحصى فيحصى الله عليك » وفى صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قال لى أنفق أنفق عليك » وفى الصحيحين من طريق معاوية ابن أبى مزرود عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً » وروى مسلم عن قتبية عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعاً « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبداً أنفق إلا عزاً ومن تواضع لله رفعه الله » وفى حديث أبى كثير عن عبد الله بن عمر مرفوعاً « إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالهجر فهجروا » وروى البيهقى من طريق سعدان بن نصر عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ما يخرج رجل صدقة حتى يفاك لحى سبعين شيطاناً »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد » وقوله ( إن ربك يبسط الرزق

لمن يشاء ويقدر) إخبار أنه تعالى هو الرزاق القابض الباسط المتصرف في خلقه بما يشاء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء لما له في ذلك من الحكمة ولهذا قال (إنه كان عباده خيرا بصيرا) أي خيرا بصيرا بمن يستحق الغنى ويستحق الفقر كما جاء في الحديث «إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه، وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه» وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجا، والفقر عقوبة عيادا بالله من هذا وهذا

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَاتَلْتُمْ كَانَ خَطِيئَةً كَبِيرًا ﴾

هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الولد بولده لأنه نهى عن قتل الأولاد كما أوصى الآباء بالأولاد في اليراث وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لثلاث تكثر عيلته فنهى الله تعالى عن ذلك وقال (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) أي خوف أن تفتقروا في ثانی الحال، ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال (نحن نرزقهم وإياكم) وفي الأنعام (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) أي من فقر (نحن نرزقكم وإياهم) وقوله (إن قاتلهم كان خطيئاً كبيراً) أي ذنباً عظيماً وقرأ بعضهم كان خطياً كبيراً وهو بمعنى، وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال «أن تجعل لله ندا وهو خلقك» قلت ثم أي؟ قال «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت ثم أي؟ قال «أن تزاني بحليلة جارك»

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾

يقول تعالى ناهياً عباده عن الزنا وعن مقاربتهم ومخالطة أسبابه ودواعيه (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة) أي ذنباً عظيماً (وساء سبيلاً) أي وبئس طريقاً ومسلكاً

وقد قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا جرير حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أئذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه فقال «ادنه» فدنا منه قريباً فقال «اجلس» فجلس فقال «أتحبه لأملك؟» قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال «أتحبه لابنتك؟» قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم قال «أتحبه لأختك؟» قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال «أتحبه لعمتك؟» قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لعلماتهم قال «أتحبه لخالتك؟» قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال فوضع يده عليه وقال «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه» قال فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. وقال ابن أبي الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي ﷺ قال «ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له»

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾

يقول تعالى ناهياً عن قتل النفس بغير حق شرعى كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بأحدي ثلاث: النفس بالنفس والزاني المحسن والتارك لدينه الفارق للجماعة» وفي السنن «لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم» وقوله (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) أي سلطنة على القاتل فانه بالخيار فيه إن شاء قتله قوداً وإن شاء عفا عنه على الدية وإن شاء عفا عنه مجاناً كما ثبتت السنة بذلك. وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية

السلطنة أنه سيملك لأنه كان ولي عثمان وقد قتل عثمان مظلوما رضى الله عنه وكان معاوية يطالب علياً رضى الله عنه أن يسلمه قتلته حتى يقتص منهم لأنه أموى وكان على رضى الله عنه يستعمله في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك ويطلب على من معاوية أن يسلمه الشام فأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتلة وأبى أن يبايع علياً هو وأهل الشام ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الأمر اليه كما قاله ابن عباس واستنبطه من هذه الآية الكريمة وهذا من الأمر العجيب ، وقدروى ذلك الطبرانى في معجمه حيث قال حدثنا يحيى بن عبد الباقي حدثنا أبو عمير بن النحاس حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شؤدب عن مطر الوراق عن زهدم الجرمى قال : كنا في ممر ابن عباس فقال : إني محدثكم بحديث ليس بسر ولا علانية إنه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان يعنى عثمان قلت لعلى اعتزل فلو كنت في حجر طلبت حتى تستخرج فعصاني ، وإيم الله ليتأمرن عليكم معاوية وذلك أن الله يقول ( ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل ) الآية وليحملنكم قريش على سنة فارس والروم وليقيمن عليكم النصارى واليهود والمجوس ، فمن أخذ منكم يومئذ بما يعرف نجاً ، ومن تركه وأتم تاركون كنتم كقرون من القرون هلك فيمن هلك ، وقوله ( فلا يسرف في القتل ) قالوا معناه فلا يسرف الولى في قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل ، وقوله ( إنه كان منصوراً ) أى إن الولى منصور على القاتل شرعاً وغالباً وقدرأ

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا \* وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

يقول تعالى ( ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ) أى لا تتصرفوا في مال اليتيم إلا بالعبطة ( ولا تأكلوها )<sup>(١)</sup> إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستغفف ومن كان فقيراً فليأكل كل بالمعروف ) وقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر « يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإنى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم » وقوله ( وأوفوا بالعهد ) أى الذى تعاهدون عليه الناس والعقود التى تعاملونهم بها فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه ( إن العهد كان مسئولاً ) أى عنه وقوله ( وأوفوا الكيل إذا كتتم ) أى من غير تظنيف ولا تبخسوا الناس أشياءهم ( وزنوا بالقسطاس ) قرئ بضم القاف وكسرها كالقسطاس وهو الميزان قال مجاهد هو العدل بالرومية وقوله ( المستقيم ) أى الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب ( ذلك خير ) أى لكم في معاشكم ومعادكم ولهذا قال ( وأحسن تأويلاً ) أى ما لا ومنقلباً في آخرتكم . قال سعيد عن قتادة ( ذلك خير وأحسن تأويلاً ) أى خير ثواباً وأحسن عاقبة . وابن عباس كان يقول يامعشر الموالى إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم هذا المكيال وهذا الميزان ، قال وذكر لنا أن نبي الله عليه الصلاة والسلام كان يقول « لا يقدر رجل على جرام ثم يدعه ليس به إلا محافة الله إلا أبدله الله به في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك »

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول لا تقفل ، وقال العوفى لا ترم أحداً بما ليس لك به علم وقال محمد ابن الحنفية يعنى شهادة الزور ، وقال قتادة لا تقفل رأيت ولم تر وصممت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فأبى الله تعالى سائلك عن ذلك كله ، ومضمون ما ذكره أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم بل بالظن الذى هو التوهم والخيال كما قال تعالى ( اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ) وفى الحديث « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » وفى سنن أبى داود « بثس مطية الرجل زعموا » وفى الحديث الآخر « إن أفرى الفرى أن يرى الرجل عينيه مالم تريا » وفى الصحيح « من تحم حملاً كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بفاعل » وقوله ( كل أولئك ) أى هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد ( كان عنه مسئولاً ) أى سيسأل العبد عنها يوم القيامة وتساءل عنه وعمما عمل فيها

(١) فى جميع النسخ : ولا تأكلوا أموالكم إسرافاً الخ وهو غلط ، ربما كان سببه أن المصنف ذكر أولاً آية ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ثم ذكر هذه فسقط من النسخ آخر الآية الأولى وأول الثانية .

ويصح استعمال أولئك مكان تلك كما قال الشاعر :

فم المنازل بعد منزلة اللوى \* والعيش بعد أولئك الأيام

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا \* كُلُّ ذَلِكُمْ كَانَ سَيِّئُهُ  
عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾

يقول تعالى ناهياً عباده عن التجبر والتبخر في المشية ( ولا تمش في الأرض مرحاً ) أى متبخترا متمايلا مشى الجبارين ( إنك لن تخرق الأرض ) أى لن تقطع الأرض بمشيك قاله ابن جرير واستشهد عليه بقول رؤبة بن العجاج :

\* وقام الأعماق خاوى الخترقن \*

وقوله ( ولن تبلغ الجبال طولا ) أى يتأيلك وفخرك وإعجابك بنفسك ، بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده كما ثبت في الصحيح « بينما رجل يمشى فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبختر فيهما إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض وفي الحديث « من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ، ومن استكبر وضعه الله فهو في نفسه كبير وعند الناس حقير ، حتى هو أبيض إلهم من الكلب والخنزير » وقال أبو بكر بن أبى الدنيا في كتاب الخمول والتواضع : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير حدثنا حجاج بن محمد عن أبى بكر المهذلى قال : بينما نحن مع الحسن إذ مر عليه ابن الأهم يريد المنصور وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى ويتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال : أف أف ، شامخ بأنفه ، ثاني عطفه ، مصر خده ، ينظر في عطفه ، أى حميق ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة ولا مذكورة ، غير المأخوذ بأمر الله فيها ، ولا المؤدى حق الله منها ، والله ان يمشى أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون في كل عضو منه نعمة ، وللشيطان به لعنة فسمعه ابن الأهم فرجع يعتذر إليه ، فقال لا تعتذر إلى وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى ( ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ) ورأى البحترى العابد رجلا من آل على يمشى وهو يخطر في مشيته فقال له يا هذا : إن الذى أكرمك به لم تكن هذه مشيته قال فتركها الرجل بعد . ورأى ابن عمر رجلا يخطر في مشيته فقال إن الشياطين إخوانا وقال خالد بن معدان : إياكم والخطر فإن الرجل يده من سائر جسده رواها ابن أبى الدنيا ، وقال ابن أبى الدنيا حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن محسن قال : قال رسول الله ﷺ « إذا مشت أمتي الطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض » وقوله ( كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ) أما من قرأ سيئة أى فاحشة فعنائه عنده كل هذا الذى نهينا عنه من قوله ( ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ) إلى هنا فهو سيئة مؤاخذ عليها مكروهاً عند الله لا يحبه ولا يرضاه ، وأما من قرأ سيئة على الاضافة فعنائه عنده كل هذا الذى ذكرناه من قوله ( وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ) إلى هنا فسيئة أى قبيحة مكروه عند الله ، هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله

﴿ ذَلِكُمْ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾

يقول تعالى هذا الذى أمرناك به من الأخلاق الحميلة ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة مما أوحينا إليك يا محمد لتأمر به الناس ( ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما ) أى تلومك نفسك ويلومك الله والخلق ( مدحورا ) أى مبعداً من كل خير ، قال ابن عباس وقتادة مطروداً والراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول ﷺ فإنه صلوات الله وسلامه عليه معصوم.

﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْسَانًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾

يقول تعالى رادا على المشركين الكاذبين الزاعمين عليهم لعائن الله ان الملائكة بنات الله فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، ثم ادعوا أنهم بنات الله ثم عبدوهم فأخطأوا في كل من اللقائات الثلاث خطأ عظيماً فقال تعالى منكراً عليهم ( أفأصفاكم ربكم بالبنين ) أى خصصكم بالذكور ( واتخذ من الملائكة إناثاً ) أى واختار لنفسه على زعمكم البنات ثم شدد الإنكار عليهم فقال ( إنكم لتقولون قولاً عظيماً ) أى في زعمكم أن لله ولداً ثم جعلكم ولده الاناث التى تأفون أن يكن لكم وربما قتلتموهن بالوآد فتلك إذا قسمة ضيزى وقال تعالى ( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً \* لقد جئتم شيئاً إداً \* تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً \* أن دعوا للرحمن ولداً \* وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً \* إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً \* وكلهم آتية يوم القيامة فردا ) .

﴿ وَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾

يقول تعالى ( ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ) أى صرفنا فيه من الوعيد لعلمهم بذكور ما فيه من الحجج والبيانات والمواظف فيزجروا عمهم فيه من الشرك والظلم والافك ( وما يزيدهم ) أى الظالمين منهم ( إلا نفورا ) أى عن الحق وبعداً منه .

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا \* سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ

عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكاً من خلقه العابدین معه غيره ليقربهم إليه زلفاً لو كان الأمر كما يقولون وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويتخون إليه الوسيلة والقربة فاعبدوه أتم وحده كما يعبدونه تدعونهم دونه ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه فإنه لا يجب ذلك ولا يرضاه بل يكرهه ويأباه وقد نهى عن ذلك على السنة جميع رسله وأنبيائه ثم نزه نفسه الكريمة وقدها فقال ( سبحانه وتعالى عما يقولون ) أى هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون فى زعمهم أن معه آلهة أخرى ( علواً كبيراً ) أى تعالياً كبيراً ، بل هو الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً

﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ

تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

يقول تعالى تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن أى من المخلوقات وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون وتشهد له بالوحدانية فى ربوبته وإلهيته

فى كل شىء له آية \* تدل على أنه واحد

كما قال تعالى ( تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً \* أن دعوا للرحمن ولداً ) وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا سعيد بن منصور حدثنا سليمان بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثنا عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به إلى المسجد الأقصى كان بين القام وزمزم، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطار به حتى بلغ السموات السبع . فلما رجع قال « سمعت تسبيحاً فى السموات العلى مع تسبيح كثير سبعت السموات العلى ، من ذى الهابة مشفقات لدى العلو بما علا ، سبحان

العلي الأعلى سبحانه وتعالى . وقوله ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) أى وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ( ولكن لا تفقهون تسبيحهم ) أى لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغاتكم وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات وهذا أشهر القولين كما ثبت في صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . وفي حديث أبي ذر أن النبي ﷺ أخذ في يده حصيات فسمع لمن تسبيح كحنين النحل ، وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وهو حديث مشهور في المسانيد ، وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبانه عن سهل بن معاذ عن ابن أنس عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم « اركبوها سالمة ودعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق فرب مركوبة خير من راکبها وأكثر ذكرا لله منه » وفي سنن النسائي عن عبد الله بن عمرو قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال « تقيها تسبيح » وقال قتادة عن عبد الله بن أبي عن عبد الله بن عمرو أن الرجل إذا قال لا إله إلا الله فهو كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملا حتى يقولها ، وإذا قال الحمد لله فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها ، وإذا قال الله أكبر فهي تملأ ما بين السماء والأرض ، وإذا قال سبحان الله فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحداً من خلقه إلا قرره بالصلاة والتسبيح . وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عدي واستسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن وهب حدثنا جرير حدثنا أبي سمعت مصعب بن زهير يحدث عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال أتى النبي ﷺ أعرابي عليه جبة من طياسته مكفوفة بديباج : أو مزورة بديباج فقال إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع بن راع ويضع كل رأس بن رأس فقام إليه النبي ﷺ مغضباً فأخذ بمجامع جبته فاجتذبه فقال « لا أرى عليك ثياب من يعقل » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فقال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه فقال إني قاص عليك الوصية أمركما بانثتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن الشرك بالله والكبر ، وأمركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرض وما فيها لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح ولو أن السموات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليهما لقصمتهما أو لقصمتهما ، وأمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء . ورواه الإمام أحمد أيضاً عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مصعب بن زهير به أطول من هذا وتفرد به ، وقال ابن جرير حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودى حدثنا محمد بن يعلى عن موسى بن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه ؟ إن نوحا عليه السلام قال لابنه يا بني أمرك أن تقول سبحان الله فإنها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق » قال الله تعالى ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) إسناده فيه ضعف فإن الأودى ضعيف عند الأكثرين ، وقال عكرمة في قوله تعالى ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) قال الاسطوانة تسبح والشجرة تسبح - الاسطوانة السارية . وقال بعض السلف : صرير الباب تسبيحه وخرير الماء تسبيحه قال الله تعالى ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال الطعام يسبح ويشهد لهذا القول آية السجدة في الحج ، وقال آخرون إنما يسبح من كان فيه روح يعنون من حيوان ونبات قال قتادة في قوله ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) قال كل شيء فيه روح يسبح من شجر أو شيء فيه ، وقال الحسن والضحاك في قوله ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده ) قالوا كل شيء فيه الروح وقال ابن جرير حدثنا محمد بن حميد حدثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب قالوا حدثنا جرير أبو الخطاب قال كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام فقدموا الخوان ، فقال يزيد الرقاشي يا أبا سعد يسبح هذا الخوان ؟ فقال كان يسبح مرة - قلت الخوان هو المائدة من الخشب - فكان الحسن رخمه الله ذهب إلى أنه لما كان حيا فيه خضرة كان يسبح فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتره من القول وأما الآخر فكان



مَسْحُورًا \* أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿

يخبر تعالى نبيه محمداً ﷺ بما يتناجى به رؤساء كفار قريش حين جاءوا يستمعون قراءته ﷺ سرا من قومهم بما قالوا من أنه رجل مسحور من السحر على الشهور أو من السحر وهو الرثة أى إن تتبعون إن اتبعتم محمداً إلا بشراً يأكل كما قال الشاعر :

فان تسألنا فيم نحن فاننا \* عصافير من هذا الأنام المسحر

وقال الراجز : \* يسحر بالطعام وبالشراب \* أى يفسد وقد صوب هذا القول ابن جرير وفيه نظر لأنهم أرادوا ههنا أنه مسحور له رثى يأتيه بما استمعوه من الكلام الذى يتلوه ومنهم من قال شاعر ومنهم من قال كاهن ومنهم من قال مجنون ومنهم من قال ساحر ولهذا قال تعالى ( انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ) أى فلا يهتدون إلى الحق ولا يجدون اليه مخلصا ، قال محمد بن إسحق فى السيرة حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى أنه حدث أن أباسفيان بن حرب وأباجهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى حليف بن زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى بالليل فى بيته فأخذ كل واحد منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رأيكم بعض سفهاكم لأوقفتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى تتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس ابن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أباسفيان بن حرب فى بيته فقال أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد قال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأخنس وأنا والذى حلفت به . قال ثم خرج من عنده حتى أتى أباجهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال ماذا سمعت ؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف : أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجأنا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا منابى يأتيه الوحى من السماء فتى ندرك هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه . قال فقام عنه الأخنس وتركه .

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا أَءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا \* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا \* أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا \* يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المستبدين وقوع العاد القائلين استفهام إنكار منهم لذلك ( أنذا كنا عظاما ورفاتا ) أى ترابا قاله مجاهد وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما غبارا ( أننا لمبعوثون خلقا جديداً ) أى يوم القيامة بعدما بلىنا وصرنا عندما لا نذكر كما أخبر عنهم فى الموضع الآخر ( يقولون أننا لمردودون فى الحافرة \* أنذا كنا عظاما نخرة \* قالوا تلك إذا كرة خاسرة ) وقوله تعالى ( وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ) الآيتين فأمر الله سبحانه رسول الله ﷺ أن يجيبهم فقال ( قل كونوا حجارة أو حديدا ) إذها أشد امتناعا من العظام والرفات ( أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ) قال ابن إسحق عن ابن أبى نجیح عن مجاهد سألت ابن عباس عن ذلك فقال : هو الموت وروى عطية عن ابن عمير أنه قال فى تفسير هذه الآية لو كنتم موتى لأحييتكم ، وكذا قال سعيد بن جبیر وأبو صالح والحسن وقتادة

والضحك وغيرهم ، ومعنى ذلك أنكم لو فرضتم أنكم لو صرتم إلى الموت الذى هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا شاء فإنه لا يمتنع عليه شئ إذا أَرَادَهُ

وقد ذكر ابن جرير ههنا حديثاً « يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة أنعرفون هذا ؟ فيقولون نعم : ثم يقال يا أهل النار أنعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » وقال مجاهد ( أو خلقاً مما يكبر في صدوركم ) يعنى السماء والأرض والجبال وفي رواية : ما شئتم فكونوا فسيعيدكم الله بعد موتكم ، وقد وقع في التفسير المروى عن الإمام مالك عن الزهرى في قوله ( أو خلقاً مما يكبر في صدوركم ) قال النبي ﷺ قال مالك ويقولون هو الموت . وقوله تعالى ( فسيقولون من يعيدنا ) أى من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً ( قل الذى فطركم أول مرة أى الذى خلقكم ولم تكونوا شيئاً مذكورا ثم صرتم بشراً تنتشرون فإنه قادر على إعادةكم ولو صرتم إلى أى حال ( وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ) الآية وقوله تعالى ( فسيفضون إليك رءوسهم ) قال ابن عباس وقتادة يحركونها استهزاء وهذا الذى قاله هو الذى تعرفه العرب من لغاتها لأن الانغاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل ، ومنه قيل للظلم وهو ولد النعامة نعض لأنه إذا مشى عجل بمشيته وحرك رأسه ويقال نعضت سنه إذا تحركت وارتفعت من مبيتها . وقال الراجز : \* ونعضت من هرم أسنانها \*

وقوله ( ويقولون متى هو ) إخبار عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك كما قال تعالى ( ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ) وقال تعالى ( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ) وقوله ( قل عسى أن يكون قريباً ) أى احذروا ذلك فإنه قريب إليكم سيأتيكم لا محالة فكل ما هو آت آت . وقوله تعالى ( يوم يدعوكم ) أى الرب تبارك وتعالى ( إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ) أى إذا أمركم بالخروج منها فإنه لا يخالف ولا يمانع بل كما قال تعالى ( وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ) ( إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ) وقوله ( فأبما هى زجرة واحدة \* فإذا هم بالساهرة ) أى إنما هو أمر واحد باتتهار فإذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها كما قال تعالى ( يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ) أى تقولون كلكم إجابة لأمره وطاعة لا رادته قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فتستجيون بحمده أى بأمره وكذا قال ابن جرير . وقال قتادة بمعرفة وطاعته ، وقال بعضهم ( يوم يدعوكم فتستجيون بحمده ) أى وله الحمد فى كل حال . وقد جاء فى الحديث « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم كأنى بأهل لا إله إلا الله يقومون من قبورهم يفضون التراب عن رءوسهم يقولون لا إله إلا الله » وفى روايه يقولون ( الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ) وسيأتى فى سورة فاطر . وقوله تعالى ( وتظنون ) أى يوم تقومون من قبوركم ( إن لبئتم ) أى فى الدار الدنيا ( إلا قليلاً ) وكقوله تعالى ( كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ) وقال تعالى ( يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً \* يتخافتون بينهم إن لبئتم إلا عشراً \* نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبئتم إلا يوماً ) وقال تعالى ( ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ) وقال تعالى ( قال كم لبئتم فى الأرض عدد سنين ؟ قالوا لبئنا يوماً أو بعض يوماً فاسأل العادين ، قال إن لبئتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون )

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾

يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا فى مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى النعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم ، وعداوته ظاهرة بينة ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه السلم بحديدة فإن الشيطان ينزع فى يده أى فرما أصابه بها .

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « لا يشيرن أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده فيقع في حفرة من النار » أخرجاه من حديث عبد الرزاق . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أبنا علي بن زيد عن الحسن قال حدثني رجل من بني سليط قال أتيت النبي ﷺ وهو في رفلة من الناس فسمعتة يقول: « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله التقوى ههنا » قال حماد وقال بيده إلى صدره « وما تواد رجلان في الله ففرق بينهما إلا حدث يحدثه أحدهما والمحدث شر والمحدث شر والمحدث شر »

﴿ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ إِشْرَاحَكُمْ أَوْ إِنْ إِبْرَاهِيمَ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا \* وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾

يقول تعالى (ربكم أعلم بكم) أيها الناس أي أعلم من يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق (إن يشأ يرحمكم) بأن يوفقكم لطاعته والابانة إليه (أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك (يا محمد) عليهم وكيلا) أي إنما أرسلناك نذيراً فمن أطاعك دخل الجنة ، ومن عصاك دخل النار . وقوله ( وربك أعلم بمن في السموات والأرض ) أي بمراتبهم في الطاعة والعصية (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ) وكما قال تعالى ( تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ) وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لا تفضلوا بين الأنبياء » فان المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشبه والعصية لا بمقتضى الدليل فإذا دل الدليل على شيء وجب اتباعه ، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء وأن أولى العزم منهم أفضلهم وهم الخمسة المذكورون نصافي آيتين من القرآن في سورة الأحزاب ( وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ) وفي الشورى في قوله ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ) ولا خلاف أن محمداً ﷺ أفضلهم ثم بعده إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام على المشهور وقد بسطنا بدلائله في غير هذا الموضع والله الموفق وقوله تعالى ( وآتيناه داود زبوراً ) تنبيه على فضله وشرفه . قال البخاري حدثنا إسحاق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوايه ففسر حتى كان يقرؤه قبل أن يفرغ » يعني القرآن

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾

يقول تعالى ( قل ) يا محمد هؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله ( ادعوا الذين زعمتم من دونه ) من الأصنام والأنداد فارغبوا إليهم ( فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم ) أي بالكلية ( ولا تحويلاً ) أي بأن يحولوه إلى غيركم والمعنى أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والأمر . قال العوفي عن ابن عباس في قوله ( قل ادعوا الذين زعمتم ) الآية قال كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والسيح وعزيراً وهم الذين يدعون يعني في الملائكة والسيح وعزيراً وقوله تعالى ( أولئك الذين يدعون ) الآية روى البخاري من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله في قوله ( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ) قال ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا وفي رواية قال كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم ، وقال قتادة عن معبد ابن عبد الله الرماني عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود في قوله ( أولئك الذين يدعون ) الآية قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجن والإنس والجنيون والانس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم فنزلت

هذه الآية وفي رواية عن ابن مسعود كانوا يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن فذكره وقال السدي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله ( أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ) قال عيسى وأمه وعزير وقال مغيرة عن إبراهيم كان ابن عباس يقول في هذه الآية : هم عيسى وعزير والشمس والقمر ، وقال مجاهد عيسى والعزير والملائكة ، واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله ( يبتغون إلى ربهم الوسيلة ) وهذا لا يعبره عن الماضي فلا يدخل فيه عيسى والعزير والملائكة وقال الوسيلة هي القربة كما قال قتادة ولهذا قال ( أيهم أقرب ) وقوله تعالى ( ويرجون رحمته ويخافون عذابه ) لاتهم العبادة إلا بالخوف والرجاء فالخوف ينكف عن المناهي وبالرجاء يكثر من الطاعات ، وقوله تعالى ( إن عذاب ربك كان محذوراً ) أي ينبغي أن يحذرنه ويخاف من وقوعه وحصوله عياداً بالله منه

﴿ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضى بما قد كتب عنده في اللوح المحفوظ أنه مامن قرية إلا سهلها بأن يبيد أهلها جميعهم أو يعذبهم (عذاباً شديداً) إما بقتل أو ابتلاء بما يشاء وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم كما قال تعالى عن الأمم الماضية ( وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ) وقال تعالى ( فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً ) وقال « وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله ( الآيات .

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا ﴾

قال سنيد عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال : قال المشركون يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيى الموتى فان سرك أن تؤمن بك ونصدقك فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهباً فأوحى الله إليه : إني قد سمعت الذي قالوا فإن شئت أن تفعل الذي قالوا فان لم يؤمنوا نزل العذاب فانه ليس بعد نزول الآية مناظرة وإن شئت أن نستأني بقومك استأنت بهم . قال « يارب استأني بهم » وكذا قال قتادة وابن جريج وغيرها ، وروى الإمام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سألت أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحى الجبال عنهم فيرعوا فقيل له : إن شئت أن نستأني بهم وإن شئت أن يأتيهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من كان قبلهم من الأمم . قال « لا ، بل استأني بهم » وأنزل الله تعالى ( وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ) الآية ورواه النسائي من حديث جرير به . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس قال : قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك قال « وتفعلون ؟ » قالوا نعم قال فدعا فاتاه جبريل فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً فمن كفر منهم بعد ذلك عذابه عذاباً لأعذبه أحداً من العالمين وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة فقال « بل باب التوبة والرحمة » وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن إسماعيل بن علي الأنصاري حدثنا خلف بن تميم المصيصي عن عبد الجبار بن عمرو الأبلي عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم عن جدته أم عطاء مولاة الزبير بن العوام قالت : سمعت الزبير يقول لما نزلت ( وأندر عشيرتك الأقربين ) صاح رسول الله ﷺ على أبي قبيس « يا آل عبد مناف إني نذير » فجاءته قريش فحذروهم وأندروهم فقالوا تزعم أنك نبي يوحى إليك وإن سليمان سخر له الريح والجبال وإن موسى سخر له البحر وإن عيسى كان يحيى الموتى فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهاراً فتتخذ محارث فنزرع ونأكل وإلا فادع الله أن يحيى لنا موتانا لنكلمهم ويكلمونا وإلا فادع الله أن يصير لنا هذه الصخرة التي تحتك ذهباً فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف فإنك تزعم أنك كهيئتهم . قال فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي

فلما سرى عنه قال « والذى نفسى بيده لقد أعطاني ما سألتكم ولو شئت لكان ولكنه خيرى بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم أحد فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وأخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه يعذبكم عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين » ونزلت ( وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ) وقرأ ثلاث آيات ونزلت ( ولو أن قرآناً سیرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ) الآية ولهذا قال تعالى ( وما منعنا أن نرسل بالآيات ) أى نبعث الآيات ونأتى بها على ما سأل قومك منك فإنه سهل علينا يسير لدينا إلا أنه قد كذب بها الأولون بعد ما سألوها وجرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم أنهم لا يؤخرون إن كذبوا بها بعد نزولها كما قال الله تعالى فى المائدة ( قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ) وقال تعالى عن ثمود حين سألو آية ناقة تخرج من صخرة عينوها فدعا صالح عليه السلام ربه فأخرج لهم منها ناقة على ما سألوا فلما ظلموا بها أى كفروا بمن خلقها وكذبوا رسوله وعقروها فقال ( تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ) ولهذا قال تعالى ( وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ) أى دالة على وحدانية من خلقها وصدق رسوله الذى أوجب دعاؤه فيها ( فظلموا بها ) أى كفروا بها ومنعوا شربها وقتلوا فأبادهم الله عن آخرهم وانتقم منهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر وقوله تعالى ( وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ) قال قتادة إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات لعلمهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون ، ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رضى الله عنه فقال يا أيها الناس إن ربكم يستعجبكم فأعجبوه ، وهكذا روى أن المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرات فقال عمر أحدثتم والله لئن عادت لأفعلن ولأفعلن . وكذا قال رسول الله ﷺ فى الحديث المتفق عليه « إن الشمس والفسر آيتان من آيات الله وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا حياته ولكن الله عز وجل يخوف بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره - ثم قال - يا أمة محمد والله ما أحد أغير من الله أن نرى عبده أو نرى أمته ، يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً »

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾

يقول تعالى لرسوله ﷺ محرضاً له على إبلاغ رسالته وعبراله بأنه قد عصمه من الناس فانه القادر عليهم وهم فى قبضته وتحت قهره وغلبته . قال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقتادة وغيرهم فى قوله ( وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ) أى عصمك منهم وقوله ( وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ) الآية قال البخارى حدثنا على بن عبدالله حدثنا سفيان عن عمرو بن عكرمة عن ابن عباس ( وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ) قال هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم لیسلة أسرى به ( والشجرة الملعونة فى القرآن ) شجرة الزقوم وكذا رواه أحمد وعبد الرزاق وغيرهما عن سفيان بن عيينة به وكذا رواه العوفي عن ابن عباس . وهكذا فسر ذلك بلیلة الإسراء مجاهد وسعيد بن جبیر والحسن ومسروق وإبراهيم وقتادة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد وقد تقدمت أحاديث الإسراء فى أول السورة مستقصاة والله الحمد والمنة . وتقدم أن ناساً رجعوا عن دينهم بعدما كانوا على الحق لأنه لم تحمل قلوبهم وعقولهم ذلك فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وجعل الله ذلك ثباتاً وقيناً لآخرين ولهذا قال ( إلا فتنة ) أى اختباراً وامتحاناً ، وأما الشجرة الملعونة فهى شجرة الزقوم لما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم فسكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل عليه لعائن الله : هاتوا لنا تمراً وزبداء وجعل يأكل من هذا جهنماً ويقول تزقوموا فلانعلم الزقوم غير هذا ، حكى ذلك ابن عباس ومسروق وأبو مالك والحسن

البصرى وغير واحد وكل من قال إنها ليلة الإسراء فسره كذلك بشجرة الرقوم وقيل المراد بالشجرة الملعونة بنو أمية وهو غريب ضعيف ، وقال ابن جرير حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد حدثني أبي عن جدى قال رأى رسول الله ﷺ بنى فلان يزورون على منبره نزو القروود فسأه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات قال وأنزل الله في ذلك ( وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ) الآية وهذا السند ضعيف جدا فان محمد بن الحسن بن زبالة متروك وشيخه أيضا ضعيف بالسلفية ، ولهذا اختار ابن جرير أن المراد بذلك ليلة الإسراء وأن الشجرة الملعونة هي شجرة الرقوم قال لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك أى فى الرؤيا والشجرة وقوله ( ونخوفهم ) أى الكفار بالوعيد والعذاب والنكال ( فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا ) أى تماديا فيما هم فيه من الكفر والضلال وذلك من خذلان الله لهم

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا \* قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأُخْتِنِكَ ذَرِيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

يذكر تبارك وتعالى عداوة إبليس لعنه الله لآدم وذريته وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم فانه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له افتخارا عليه واحتقارا له ( قال أسجد لمن خلقت طينا ) كما قال فى الآية الأخرى ( أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ) وقال أيضا أرايتك يقول للرب جراءة وكفرا والرب يحلم وينظر ( قال أرايتك هذا الذى كرمته على ) الآية قال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول لأستولين على ذريته إلا قليلا وقال مجاهد لأحتوين وقال ابن زيد لأضلنهم وكلها متقاربة والمعنى أرايتك هذا الذى شرفته وعظمته على لئن أنظرتنى لأضلن ذريته إلا قليلا منهم

﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ سُمْ جَزَاءِ مَوْفُورًا \* وَاسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا \* إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكفى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾

لما سأل إبليس النظرة قال الله له ( اذهب ) فقد أنظرتك كما قال فى الآية الأخرى قال ( فإنك من النظرين إلى يوم الوقت المعلوم ) ثم أوعده ومن اتبعه من ذرية آدم جهنم ( قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم ) أى على أعمالكم ( جزاء موفورا ) قال مجاهد وافرا ، وقال قتادة موفورا عليكم لا ينقص لكم منه . وقوله تعالى ( واستفزز من استطعت منهم بصوتك ) قيل هو الغناء قال مجاهد باللهو والغناء أى استخفهم بذلك وقال ابن عباس فى قوله ( واستفزز من استطعت منهم بصوتك ) قال كل داع دعا إلى معصية الله عزوجل ، وقال قتادة واختاره ابن جرير ، وقوله تعالى ( وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ) يقول واحمل عليهم بجندوك خيالتهم ورجلتهم فإن الرجل جمع راجل كما أن الركب جمع راكب وصحب جمع صاحب ومعناه تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه وهذا أمر قدرى كقوله تعالى ( ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ) أى تزعمهم إلى المعاصى إزعاجا وتسوقهم إليها سوقا وقال ابن عباس ومجاهد فى قوله ( وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ) قال كل راكب وماش فى معصية الله وقال قتادة: إن له خيلا ورجالا من الجن والإنس وهم الذين يطيعونه، تقول العرب أجلب فلان على فلان إذا صاح عليه ومنه نهي فى المسابقة عن الجلب والجنب ومنه اشتقاق الجلبة وهى ارتفاع الأصوات ، وقوله تعالى ( وشاركهم فى الأموال والأولاد ) قال ابن عباس ومجاهد هو ما أمرهم به من انفاق الأموال فى معاصى الله تعالى ، وقال عطاء: هو الربا ، وقال الحسن

هو جمعها من خيبت وإنفاقها في حرام ، وكذا قال قتادة وقال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما أما مشاركته إياهم في أموالهم فهو ما حرموه من أنعامهم يعنى من البحائر والسوائب ونحوها وكذا قال الضحاك وقاتادة ، وقال ابن جرير والأولى أن يقال إن الآية تعم ذلك كله . وقوله ( والأولاد ) قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد والضحاك يعنى أولاد الزنا ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس هو ما كانوا قتلوه من أولادهم سفها بغير علم . وقال قتادة عن الحسن البصرى قد والله شاركهم في الأموال والأولاد مجسوا وهودوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أموالهم جزءا للشيطان ، وكذا قال قتادة سواء ، وقال أبو صالح عن ابن عباس هو تسميتهم أولادهم عبد الحارث وعبد شمس وعبد فلان . قال ابن جرير وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كل مولود ولدته أنثى عصى الله فيه بتسميته بما يكرهه الله أو بادخاله في غير الدين الذى ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو بقتله أو وأده أو غير ذلك من الأمور التى يعصى الله بفعله به أو فيه فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أو منه لأن الله لم يخص بقوله ( وشاركهم في الأموال والأولاد ) معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عصى الله فيه أوبه أو أطيع الشيطان فيه أوبه فهو مشاركة ، وهذا الذى قاله متجه وكل من السلف رحمهم الله فسر بعض المشاركة فقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل إني خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا » وقوله تعالى ( وعدمهم وما يعدم الشيطان إلا غرورا ) كما أخبر تعالى عن إبليس أنه يقول إذا حصص الحق يوم يقضى بالحق ( إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ) الآية وقوله تعالى ( إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ) إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم ولهذا قال تعالى ( وكفى بربك وكيلًا ) أى حافظاً ومؤيداً ونصيراً ، وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن موسى ابن وردان عن أنه هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن المؤمن لينضى شياطينه كما ينضى أحدكم بعيره في السفر » ينضى أى يأخذ بناصيته ويقهره

﴿ رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

يخبر تعالى عن لطفه مخلقه في تسخيره لعباده الفلك في البحر وتسهيله لمصالح عباده لا بتغائهم من فضله في التجارة من إقليم إلى إقليم ولهذا قال ( إنه كان بكم رحيمًا ) أى إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم ورحمته بكم

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾

يخبر تبارك وتعالى أن الناس إذا مسهم ضر دعوه منييين إليه محلصين له الدين ولهذا قال تعالى ( وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ) أى ذهب عن قلوبكم كل ما تمبدون غير الله تعالى كما اتفق لعكرمة بن أبى جهل لما ذهب فارا من رسول الله ﷺ حين فتح مكة فذهب هاربا فركب في البحر ليدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف فقال القوم بعضهم لبعض إنه لا ينفع عنكم إلا أن تدعوا الله وحده فقال عكرمة في نفسه والله إن كان لا ينفع في البحر غيره فإنه لا ينفع في البر غيره اللهم لك على عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فلاضعن يدي في يد محمد فلاجدنه رءوفا رحما ، فخرجوا من البحر فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه رضى الله عنه وأرضاه . وقوله تعالى ( فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ) أى نسيتم ما عرفتم من توحيدته في البحر وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له ( وكان الإنسان كفورًا ) أى سجيته هذا ينسى النعم ويحجدها إلا من عصم الله

﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾

يقول تعالى أفحسبتم بخروجكم إلى البر أمتم من اتقاهم وعذابه أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا وهو الطر الذي فيه حجارة قاله مجاهد وغير واحد كما قال تعالى ( إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا ) وقد قال في الآية الأخرى ( وأمطرنا عليهم حجارة من طين ) وقال ( أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور \* أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ) وقوله ( ثم لا تجدوا لكم وكيفا ) أي ناصرا يرد ذلك عنكم وينقذكم منه

﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾

يقول تبارك وتعالى أم أمتم أيها المعرضون عنا بعد ما اعترفوا بتوحيدنا في البحر وخرجوا إلى البر أن يعيدكم في البحر مرة ثانية فيرسل عليكم قاصفا من الريح أي يقصف الصواري ويغرق المراكب قال ابن عباس وغيره القاصف ريح البحار التي تكسر المراكب وتفرقها وقوله ( فيغرقكم بما كفرتم ) أي بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى وقوله ( ثم لا تجدوا لكم علينا به تبعا ) قال ابن عباس: نصبرا وقال مجاهد: نصيرا نائرا أي يأخذ بشاركم بعدكم . وقال قتادة ولا تخاف أحدا يتبعنا بشيء من ذلك

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

يخبر تعالى عن تشریفه لبني آدم وتكرمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كقوله تعالى ( لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ) أن يمشي قائما منتصبا على رجليه وبأكل يديه ، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بضمه وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا يفقه بذلك كله ويستفح به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية وحملناهم في البرأى على الدواب من الأنعام والحيل والبغال وفي البحر أيضا على السفن الكبار والصغار ورزقناهم من الطيبات أي من زروع وثمار ولحوم وألبان من سائر أنواع الطعوم والألوان اللطيفة والمناظر الحسنة والملابس الرفيعة من سائر الأنواع على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لأنفسهم ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا أي من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات ، وقد استدلل بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم قال : قالت الملائكة يا ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها وينعمون ولم تعطنا ذلك فأعطنا الآخرة فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أجعل صالح ذرية من خلقت يدي كمن قلت كن فكان . وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه ، وقد روي من وجه آخر متصلا . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن خازجة المصيصي حدثنا حجاج بن محمد حدثنا محمد أبو غسان بن محمد بن مطرف عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « إن الملائكة قالت يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا تأكل ولا نشرب ولا نلهو فكما جعلت لهم الدنيا فجعل لنا الآخرة قال لا أجعل صالح ذرية من خلقت يدي كمن قلت له كن فكان » وقد روى ابن عساكر من طريق محمد بن أيوب الرازي حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة بن علق سمعت عروة بن رويم اللخمي حدثني أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال « إن الملائكة قالوا ربنا خلقنا وخلقنا بني آدم وجعلناهم يأكلون الطعام ويشربون الشراب

ويلبسون الثياب ويتزوجون النساء ويركبون الدواب، ينامون ويستريحون ولم يجعل لنا من ذلك شيئاً فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله عز وجل: لا أجعل من خلقته يدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كُن فكَانَ» وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا عمر بن سهل حدثنا عبد الله بن تمام عن خالد الحذاء عن بشر بن شغاف عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ «ما شيء أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم» قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال «ولا الملائكة، الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر» وهذا حديث غريب جداً

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا \* وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾

يخبر تبارك وتعالى عن يوم القيامة أنه يحاسب كل أمة بإمامهم، وقد اختلفوا في ذلك فقال مجاهد وقتادة أي بنبيهم وهذا كقوله تعالى (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط) الآية وقال بعض السلف هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث لأن إمامهم النبي ﷺ وقال ابن زيد بكتابهم الذي أنزل على نبيهم من التشريع واختاره ابن جرير، وروى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال بكتبهم فيحتمل أن يكون أراد هذا وأن يكون أراد ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) أي بكتاب أعمالهم وكذا قال أبو العالية والحسن والضحاك وهذا القول هو الأرجح لقوله تعالى (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) وقال تعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) الآية ويحتمل أن المراد بإمامهم أي كل قوم بمن يأتون به فأهل الإيمان اتتموا بالأنبياء عليهم السلام وأهل الكفر اتتموا بأئمتهم كما قال (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) وفي الصحيحين «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت» الحديث وقال تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون \* هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وهذا لا ينافي أن يجاء بالنبي إذا حكم الله بين أمته فإنه لا بد أن يكون شاهداً على أمته بأعمالها كقوله تعالى (وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء) وقوله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) ولكن المراد ههنا بالإمام هو كتاب الأعمال ولهذا قال تعالى (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه يمينه فأولئك يقروا بكتابهم) أي من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقروا ويحبه قراءته كقوله (فأما من أوتى كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه - إلى قوله - وأما من أوتى كتابه بشماله) الآيات، وقوله تعالى (ولا يظلمون فتيلاً) قد تقدم أن القليل هو الحيط المستطيل في شق النواة. وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثاً في هذا فقال: حدثنا محمد بن يعمر ومحمد بن عثمان بن كرامة قالوا: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله تعالى (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) قال «يدعى أحدهم فيعطى كتابه يمينه ويمد له في جسمه وبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم أتنا بهذا، وبارك لنا في هذا فيأتهم فيقول لهم أبشروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا، وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ويراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا اللهم لا تأتنا به فيأتهم فيقولون اللهم أخزه فيقول أبعدهم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا» ثم قال البزار لا يروى إلا من هذا الوجه، وقوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى) الآية، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد (ومن كان في هذه) أي في الحياة الدنيا (أعمى) أي عن حجة الله وآياته وبياناته (فهو في الآخرة أعمى) أي كذلك يكون (وأضل سبيلاً) أي وأضل منه كما كان في الدنيا عياناً بالله من ذلك

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا \* وَلَوْلَا

أَنْ تَبْتَنِّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا \* إِذَا لَأَذْفَنَكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿

يخبر تعالى عن تأييده رسوله صلوات الله عليه وسلامه وثبتيه وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار وأنه تعالى هو المتولى أمره ونصره وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناوأه في مشارق الأرض ومغاربها ﷺ تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيْسْتَغْفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾

قيل نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة . وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك ، وقيل إنها نزلت بتبوك وفي صحته نظر . روى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أتوا رسول الله ﷺ يوماً فقالوا يا أبا القاسم إن كنت صادقاً أنك نبى فالحق بالشام فإن الشام أرض الخضر وأرض الأنبياء فصدق ما قالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بنى إسرائيل بعد ما ختمت السورة ( وَإِنْ كَادُوا لَيْسْتَغْفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا — إلى قوله — تحويلاً ) فأمره الله بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها محياك ومماتك ومنها تبعث . وفي هذا الإسناد نظر والأظهر أن هذا ليس بصحيح فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ) ولقوله تعالى ( قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ) وغزاها ليقص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه والله أعلم ، ولو صح هذا لجل عليه الحديث الذى رواه الوليد بن مسلم عن عقير بن معدان عن سليمان بن عامر عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثَةِ أَمْكَنَةِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالشَّامَ » قال الوليد يعنى بيت المقدس وتفسير الشام بتبوك أحسن مما قال الوليد إنه بيت المقدس والله أعلم . وقيل نزلت في كفار قريش هموا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فتوعدهم الله بهذه الآية وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً ، وكذلك وقع فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعد ما اشتد أذاهم له إلا سنة ونصف حتى جمعهم الله وإياه بيدى على غير ميعاد فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم فقتل أشرفهم وسبي ذراريهم ، ولهذا قال تعالى ( سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا ) أى هكذا عادتنا فى الذين كفروا برسولنا وآذوه بخروج الرسول من بين أظهرهم يأتهم العذاب ولولا أنه صلى الله عليه وسلم رحمة لجاهم من النقم فى الدنيا ما لاقى لأحد به ، ولهذا قال تعالى ( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ) الآية

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾

يقول تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أمراً له بإقامة الصلوات المكتوبات فى أوقاتها ( أقم الصلاة لدلوك الشمس ) قيل لغروبها قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس : دلوكها زوالها

ورواه نافع عن ابن عمر ورواه مالك في تفسيره عن الزهري عن ابن عمر وقاله أبو برزة الأسلمي وهو رواية أيضاً عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن والضحاك وأبو جعفر الباقر وقتادة ، واختاره ابن جرير ومما استشهد عليه ما رواه عن ابن حميد عن الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله قال دعوت رسول الله ﷺ ومن شاء من أصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي ﷺ فقال « اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس » ثم رواه عن سهل بن بكر عن أبي عوانة عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فعلى هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلوات الخمس فمن قوله ( لدلوك الشمس إلى غسق الليل ) وهو ظلامه وقيل غروب الشمس أخذ منه الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقوله ( وقرآن الفجر ) يعني صلاة الفجر ، وقد ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ تواتراً من أفعاله وأقواله بتفاصيل هذه الأوقات على ما عليه أهل الإسلام اليوم مما تلقوه خلفاً عن سلف وقرنا بعد قرن كما هو مقرر في مواضعه والله الحمد ( إن قرآن الفجر كان مشهوداً ) قال الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في هذه الآية ( وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ) قال تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار . وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر » يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم ( وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً )

وقال الإمام أحمد حدثنا أسباط حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وحدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله ( وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ) قال « تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار » ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ثلاثهم عن عبيد بن أسباط ابن محمد عن أبيه به وقال الترمذي حسن صحيح . وفي لفظ في الصحيحين من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر ، فيعرج الدين بانوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصابون وتركناهم وهم يصابون » وقال عبد الله بن مسعود يجتمع الحرسان في صلاة الفجر فيصعد هؤلاء ويقم هؤلاء . وكذا قال إبراهيم النخعي ومجاهد وقتادة وغير واحد في تفسير هذه الآية . وأما الحديث الذي رواه ابن جرير ههنا من حديث الليث بن سعد عن زيادة عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ فذكر حديث النزول وأنه تعالى يقول : من يستغفرني أغفر له ، من يسألني أعطيه ، من يدعني فأستجيب له حتى يطلع الفجر . فلذلك يقول ( وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ) فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار فإنه تفرد به زيادة ، وله بهذا حديث في سنن أبي داود . وقوله تعالى ( ومن الليل فتجهد به نافلة لك ) أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال « صلاة الليل » ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل فإن التهجيد ما كان بعد نوم . قاله علقمة والأسود وإبراهيم النخعي وغير واحد وهو المعروف في لغة العرب ، وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتجهد بعد نومه عن ابن عباس وعائشة وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم كما هو مبسوط في موضعه والله الحمد والمآلة ، وقال الحسن البصري هو ما كان بعد العشاء ويحمل على ما كان بعد النوم واختلف في معنى قوله تعالى ( نافلة لك ) فقيل معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك فاجعلوا قيام الليل واجباً في حقه دون الأمة رواه العوفي عن ابن عباس وهو أحد قولي العلماء وأحد قولي الشافعي رحمه الله واختاره ابن جرير ، وقيل إنما جعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

وغيره من أمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه . قال مجاهد وهو في المسند عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .  
وقوله ( عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً ) أى أفعل هذا الذى أمرتك به لنفيمك يوم القيامة مقاما محموداً يحمذك  
فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى . قال ابن جرير قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام الذى يقومه محمد  
صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم ﴿ ذكر من قال  
ذلك ﴾ حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال : يجمع الناس  
في صعيد واحد يسمعون الداعى وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لا تكلم نفس إلا بإذنه ينادى يا محمد فيقول  
« لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشرف ليس إليك ، والمهدى من هديت ، وعبدك بين يديك ، ومنك وإليك  
لامنحى ولا ملجأ منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت » فهذا المقام المحمود الذى ذكره الله عز وجل ،  
ثم رواه عن بندار عن غندر عن شعبة عن أبي إسحق به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر والثورى عن أبي إسحق  
به ، وقال ابن عباس هذا المقام المحمود مقام الشفاعة ، وكذا قال ابن أبي نجیح عن مجاهد وقاله الحسن البصرى ، وقال  
قتادة هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأول شافع ، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذى قال الله  
تعالى ( عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً ) قلت لرسول الله ﷺ تشریفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد ،  
وتشریفات لا يساويه فيها أحد فهو أول من تنشق عنه الأرض ويبعث ركباً إلى المحشر وله اللواء الذى آدم فمن  
دونه تحت لوائه ، وله الحوض الذى ليس فى الموقف أكثر وارداً منه ، وله الشفاعة العظمى عند الله لىأتى لفصل  
القضاء بين الخلائق وذلك بعد ما تسأل الناس آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حتى يأتوا إلى  
محمد صلى الله عليه وسلم فيقول « أنا لها أنا لها » كما سنذكر ذلك مفصلاً فى هذا الموضع إن شاء الله تعالى ،  
ومن ذلك أنه يشفع فى أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها وهو أول الأنبياء يقضى بين أمته وأولهم إجازة على  
الصراط بأمره وهو أول شافع فى الجنة كما ثبت فى صحيح مسلم . وفى حديث الصور أن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة  
إلا بشفاعته وهو أول داخل إليها وأمته قبل الأمم كلهم ، ويشفع فى رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم وهو صاحب  
الوسيلة التى هى أعلى منزلة فى الجنة لا تليق إلا لله وإذا أذن الله تعالى فى الشفاعة للعصاة شفع الملائكة والنبون والمؤمنون  
فيشفع هو فى خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى ولا يشفع أحد مثله ولا يساويه فى ذلك ، وقد بسطت ذلك مستقصى فى آخر  
كتاب السيرة فى باب الخصائص والله الحمد والمنة ولندكر الآن الأحاديث الواردة فى المقام المحمود والله المستعان . قال  
البخارى حدثنا اسماعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي سمعت ابن عمر يقول إن الناس يصيرون يوم القيامة  
جثاء كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة إلى محمد ﷺ فذلك يوم يبعه الله مقاما  
محموداً . ورواه حمزة بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله  
ابن عبد الحكم حدثنا شعيب بن الليث ثنا الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر أنه قال سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول سمعت  
عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ « إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن فينهم كذلك  
استغاثوا بأدم فيقول لست بصاحب ذلك ، ثم بموسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد ﷺ فيشفع بين الخلق فيمشى حتى  
يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محموداً . وهكذا رواه البخارى فى الزكاة عن يحيى بن بكير وعلقمة عن  
عبد الله بن صالح كلاهما عن الليث بن سعد به . وزاد فيومئذ يبعثه الله مقاما محموداً يحمد أهل الجمع كلهم . قال البخارى  
وحدثنا علي بن عياش حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « من  
قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً  
الذى وعدته . حلت له شفاعتى يوم القيامة » انفرد به دون مسلم ﴿ حديث أبي بن كعب ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا  
أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » وأخرجه الترمذى من حديث أبي

عامة عبد الملك بن عمرو العقدي وقال حسن صحيح وابن ماجه من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل به، وقد قدمنا في حديث  
أبي بن كعب في قراءة القرآن على سبعة أحرف، قال عليه السلام في آخره « فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي  
وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام » (حديث أنس بن مالك) قال الإمام أحمد حدثنا  
يحيى بن سعيد حدثنا سعيد بن أبي عروبة حدثنا قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله قال « يجتمع المؤمنون يوم القيامة  
فيلهمون ذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر  
خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول لهم  
آدم لست هناكم ويذكر ذنبه الذي أصاب فيستحي ربه عز وجل من ذلك ويقول ولكن اتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله  
إلى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي ربه من ذلك  
ويقول ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن . فيأتونه فيقول لست هناكم ولكن اتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه  
التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس فيستحي ربه من ذلك ويقول ولكن  
اتوا عيسى عبد الله ورسوله وكتبه وروحه فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن اتوا محمداً غفر الله له ما تقدم من  
ذنبه وما تأخر فيأتوني - قال الحسن هذا الحرف - فأقوم فأمشي بين سباطين من المؤمنين - قال أنس - حتى استأذن  
على ربي فإذا رأيت ربي وقعت له - أو خررت - ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني - قال - ثم يقال ارفع محمد قل  
يسمع واشفع تشفع ، وسل تعطه فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحدي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه  
الثانية فإذا رأيت ربي وقعت له - أو خررت - ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه  
واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحدي حدا فأدخلهم الجنة قال ، ثم أعود الثالثة فإذا رأيت ربي  
وقعت - أو خررت - ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه ، واشفع تشفع فأرفع  
رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحدي حدا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود الرابعة فأقول يارب ما بقي إلا من حبسه  
القرآن) فحدثنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله قال « فيخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ،  
ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في  
قلبه من الخير ما يزن ذرة » أخرجه من حديث سعيد به ، وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة عن  
ثابت عن أنس بطوله . وقال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب الأنصاري عن النضر  
ابن أنس عن أنس قال حدثني نبي الله صلى الله عليه وآله قال « إني لقايم أنتظر أمتي تعبر الصراط إذ جاءني عيسى عليه السلام  
فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون - أو قال يجتمعون إليك - ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث  
يشاء الله نعم ما هم فيه فالخلق ملجمون بالعرق ، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيغشاه الموت فقال انتظر  
حتى أرحج إليك فذهب نبي الله صلى الله عليه وآله فقام تحت العرش فلقي مالم يلق ملك مصطفي ولانبي مرسل فأوحى الله عز وجل  
إلى جبريل أن اذهب إلى محمد وقل له ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فشفت في أمتي أن أخرج من كل تسعة  
وتسعين إنساناً واحداً فما زلت أتردد إلى ربي عز وجل فلا أقوم منه مقاماً إلا شفت حتى أعطاني الله عز وجل  
من ذلك أن قال يا محمد أدخل من أمتك من خلق الله عز وجل من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً ومات  
على ذلك » (حديث بريدة رضي الله عنه) قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا الأسود بن عامر أخبرنا أبو إسرائيل عن  
الحارث بن حضيرة عن ابن بريدة عن أبيه أنه دخل على معاوية فإذا رجل يتكلم فقال بريدة يا معاوية تأذن لي في الكلام ؟  
فقال نعم وهو يري أنه سيتكلم بمثل ما قال الآخر فقال بريدة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني لأرجو أن  
أشفع يوم القيامة عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة » قال فترجوها أنت يا معاوية ولا يرجوها على رضي الله عنه  
(حديث ابن مسعود) قال الإمام أحمد حدثنا عارم بن الفضل حدثنا سعيد بن الفضل حدثنا سعيد بن زيد حدثنا علي  
ابن الحكم البناني عن عثمان عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود قال : جاء ابننا مليكة إلى النبي صلى الله عليه وآله

فقال: إن أمنا تكرم الزوج وتعطف على الولد ، قال وذكر الضيف غير أنها كانت وأدت في الجاهلية ، فقال « أمكما في النار » قال فأدبرا والسوء يرى في وجوههما فأمر بهما فردا فرجما والسرور يرى في وجوههما رجاء أن يكون قد حدث شيء ، فقال « أمي مع أمكما » فقال رجل من المنافقين وما يعني هذا عن أمه شيئا ونحن نطأ عقبيه . فقال رجل من الأنصار ولم أر رجلا قط أكثر سؤالا منه يا رسول الله هل وعدك ربك فيها أوفيهما . قال فظن أنه من شيء قد سمعه فقال « ما شاء الله ربى وما أطمعنى فيه وإنى لأقوم المقام المحمود يوم القيامة » فقال الأنصارى يا رسول الله وما ذلك المقام المحمود ؟ قال ذلك إذا جرى بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام فيقول أكسوا خليلي فيؤتى بريطين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش ثم أوتى بكسوتى فألبسها فأقوم عن يمينه مقاما لا يقومه أحد فيبطنى فيه الأولون والآخرون » قال ويفتح لهم من الكوثر إلى الحوض فقال المنافق إنه ماجرى ماء قط إلا طلى حال أو رضراض فقال رسول الله ﷺ « حاله المسك ورضضاره الأولو » فقال المنافق لم أسمع كاليوم فإنه قلما جرى ماء على حال أو رضراض إلا كان له نبت ؟ فقال الأنصارى يا رسول الله هل له نبت ؟ فقال: « نعم قنسان الذهب » قال المنافق لم أسمع كاليوم فإنه قلما ينبت قضيب إلا أورق وإلا كان له تمر قال الأنصارى يا رسول الله هل له ثمرة قال « نعم ألوان الجواهر وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة لا يظلمأ بعده ومن حرمه لم يرو بعده » وقال أبو داود الطالسى حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الزعراء عن عبد الله قال : ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل ثم يقوم إبراهيم خليل الله ثم يقوم عيسى أو موسى قال أبو الزعراء لا أدري أيهما قال : ثم يقوم نبيكم ﷺ رابعا فيشفع لا يشفع أحد بعده أكثر مما شفح وهو المقام المحمود الذى قال الله عز وجل ( عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا )

( حديث كعب بن مالك رضى الله عنه ) قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا محمد بن حرب حدثنا الزبيدي عن الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل ويكسوني ربى عز وجل حلة خضراء ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود » ( حديث أبي الدرداء رضى الله عنه ) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فأنظر إلى ما بين يدي فأعرف أمتى من بين الأمم ومن خلقى مثل ذلك وعن يمينى مثل ذلك وعن شمالى مثل ذلك » فقال رجل يا رسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم فما بين نوح إلى أمتك ؟ قال « هم عر محجولون من أئمة الوضوء ليس أحد كذلك غيرهم وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيامهم وأعرفهم تسعى من بين أيديهم ذريتهم »

( حديث أبي هريرة رضى الله عنه ) قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا أبو حيان حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة رضى الله عنه قال أتى رسول الله ﷺ بلجم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال « أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخريين فى سعيد واحد يسمعون الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من النعم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أتم فيه بما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهانى عن الشجرة فعصيت نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول نوح إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن

يغضب بعده مثله قط وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومي نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم .  
فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا  
ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فذكر كذباته  
نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله  
اصطفاك الله برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول  
لهم موسى إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قد قتلت نفساً لم أوامر بقتلها  
نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها  
إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد صبياً فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول  
لهم عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسى نفسى اذهبوا  
إلى غيرى اذهبوا إلى محمد ﷺ ، فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء  
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأقوم  
فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحته على  
أحد قبلى ، فيقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع . فأرفع رأسى فأقول أمتى يا رب أمتى يا ربى يا رب ؟  
فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك  
من الأبواب ، ثم قال والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة  
وبصرى ، أخرجاه فى الصحيحين . وقال مسلم رحمه الله حدثنا الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الأوزاعي حدثنى  
أبو عمار حدثنى عبد الله بن فروخ حدثنى أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول  
من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع » وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن داود بن  
يزيد الزعفرانى عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً )  
سئل عنها فقالت « هى الشفاعة » رواه الإمام أحمد عن وكيع عن محمد بن عبيد عن داود عن أبيه عن أبي هريرة عن  
النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ( عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ) قال « هو المقام الذى أشفع لأمتى فيه »  
وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن طلى بن الحسين قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيامة  
مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه - قال النبي صلى الله عليه وسلم - فأكون أول  
من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن تبارك وتعالى والله ما رآه قبلها ، فأقول أى رب إن هذا أخبرنى أنك أرسلته  
إلى فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض قال فهو المقام المحمود »  
وهذا حديث مرسل

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا \* وَقُلْ

جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال كان النبي ﷺ بمكة ثم  
أمر بالهجرة فأنزل الله ( وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا )  
وقال الترمذى حسن صحيح ، وقال الحسن البصرى فى تفسير هذه الآية : إن كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله  
صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يطردوه أو يوتقوه فأراد الله قتال أهل مكة أمره أن يخرج إلى المدينة فهو الذى قال الله  
عز وجل ( وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق ) الآية ، وقال قتادة ( وقل رب أدخلنى مدخل صدق )

يعني المدينة (وأخرجني مخرج صدق) يعني مكة ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا القول هو أشهر الأقوال وقال العوفي عن ابن عباس (أدخلني مدخل صدق) يعني الموت (وأخرجني مخرج صدق) يعني الحياة بعد الموت ، وقيل غير ذلك من الأقوال والأول أصح وهو اختيار ابن جرير . وقوله ( واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ) قال الحسن البصري في تفسيره ما وعد به لينزع عن ملك فارس وعز فارس وليجعلنه له ، وملك الروم وعز الروم وليجعلنه له . وقال قتادة فيها إن نبي الله صلى الله عليه وسلم علم أن لاطاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله ، ولحدود الله ، ولقرائن الله ، ولإقامة دين الله فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم قال مجاهد (سلطاناً نصيراً) حجة بينة ، واختار ابن جرير قول الحسن وقاتدة وهو الأرجح لأنه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه وناوأه ولهذا يقول تعالى ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات - إلى قوله - وأنزلنا الحديد ) الآية . وفي الحديث « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » أي لينزع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا ينتزع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأكد والتهديد الشديد وهذا هو الواقع . وقوله (وقل جاء الحق وزهق الباطل) الآية : تهديد ووعيد لكفار قريش فإنه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرية فيه ولا قبل لمه به وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان والعلم النافع وزهق باطلهم أي اضمحل وهلك ، فإن الباطل لا يثبت له مع الحق ولا بقاء ( بل تنفذ بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ) وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطلعها يعود في يده ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يبيد » وكذا رواه البخاري أيتساق في غير هذا الموضع ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من طرق عن سفيان بن عيينة به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن ابن أبي نجيح به .

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا شعبة حدثنا الثوري حدثنا أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً تعبد من دون الله . فأمر بها رسول الله ﷺ فأكبت على وجوهها وقال « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

( وَ أَنْزَلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا )

يقول تعالى محمد آ عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد إنه شفاء ورحمة للمؤمنين أي يذهب مافي القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيف وميل فالقرآن يشفي من ذلك كله وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به وصبره واتبعه فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة ، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيد سماعه القرآن إلا بعداً وكفراً والآفة من الكافر لا من القرآن كقوله تعالى ( قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ) وقال تعالى ( وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً \* فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون \* وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم ومآبوا وهم كافرون ) والآيات في ذلك كثيرة ، قال قتادة في قوله ( ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ) إذا سمع المؤمن انتفع به وحفظه ودعا ( ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ) أي لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه فإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين

( وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أُغْرِضَ وَنَّا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا \* قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا )

يخبر تعالى عن قصص الانسان من حيث هو إلا من عصمه الله تعالى في حالتي السراء والضراء فانه إذا أنعم الله عليه بمال وعافية وفتح ورزق ونصر ونال ما يريد أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأى بجانبه. قال مجاهد بعد عنا قلت وهذا كقوله تعالى ( فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره ) وقوله ( فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ) وبأنه إذا مسه الشر وهو المصائب ، والحوادث والنوائب ( كان يئوساً ) أى قنط أن يعود يحصل له بعد ذلك خير كقوله تعالى ( ولئن أذقنا الانسان منارحة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور \* ) ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور \* إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ) وقوله تعالى ( قل كل يعمل على شاكلته ) قال ابن عباس على ناحيته . وقال مجاهد على حدته وطبيعته . وقال قتادة على نيته . وقال ابن زيد دينه وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى . وهذه الآية والله أعلم تهديد للمشركين ووعد لهم كقوله تعالى ( وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكاتبتكم ) الآية . ولهذا قال ( قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بما هم أهدي سبيلاً ) أى منا ومنكم وسيجزى كل عامل بعمله فإنه لا يخفى عليه خافية

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث في المدينة وهو متوكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح : وقال بعضهم لا تسألوه . قال فسألوه عن الروح فقالوا يا محمد ما الروح ؟ فإزال متوكئا على العسيب قال فظننت أنه يوحى إليه فقال ( ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) قال : فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه . وهكذا رواه البخارى ومسلم من حديث الأعمش به ولفظ البخارى عند تفسيره هذه الآية عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : بينا أنا أمشى مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متوكئ على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال ما رأيكم إليه ، وقال بعضهم لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه . فقالوا سلوه فسألوه عن الروح فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامى فلما نزل الوحي قال ( ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ) الآية وهذا السياق يقتضى فيما يظهر بآدى الرأى أن هذه الآية مدنية وأنها نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية . وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك أو أنه نزل عليه الوحي بانه يجيبهم عما سألوهم بالآية المتقدم إنزالها عليه وهى هذه الآية ( ويسألونك عن الروح ) ومما يدل على نزول هذه الآية بمكة ما قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قالت قريش ليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فسألوه فنزلت ( ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) قالوا أوتينا علماً كثيراً أوتينا التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيراً كثيراً قال وأنزل الله ( قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر ) الآية . وقد روى ابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى عن داود عن عكرمة قال سألت أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح فأنزل الله ( ويسألونك عن الروح ) الآية فقالوا تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً وقد أوتينا التوراة وهى الحكمة ( ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ) قال فنزلت ( ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ) الآية قال ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار فهو كثير طيب وهو فى علم الله قليل

وقال محمد بن إسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت بمكة ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود وقالوا يا محمد ألم يبلغنا عنك أنك تقول ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) أفنيتنا أم عنيت قومك فقال « كلا قد عنيت » فقالوا إنك تتلوأنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء

فقال رسول الله ﷺ « هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم » وأنزل الله ( ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم )

وقد اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا على أقوال ( أحدها ) أن المراد أرواح بني آدم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ( ويسألونك عن الروح ) الآية وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ أخبرنا عن الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من الله ولم يكن نزل عليه فيه شيء فلم يجر إليهم شيئاً فاتاه جبريل فقال له ( قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) فأخبرهم النبي ﷺ بذلك فقالوا من جاءك بهذا قال جاءني به جبريل من عند الله فقالوا له والله ما قاله لك إلا عدونا فأ نزل الله ( قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه ) وقيل المراد بالروح ههنا جبريل قاله قتادة قال وكان ابن عباس يكتمه ؛ وقيل المراد به ههنا ملك عظيم بقدر الخلوقات كلها ؛ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ( ويسألونك عن الروح ) يقول الروح ملك . وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصري حدثنا وهب بن روق بن هيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعي حدثنا عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لله ملكاً لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل ، تسيحه سبحانه حيث كدت » وهذا حديث غريب بل منكر . وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثني علي حدثني عبد الله حدثني أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية عمّن حدثه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال في قوله ( ويسألونك عن الروح ) قال هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها يخلق الله من كل تسيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة وهذا أثر غريب عجيب والله أعلم . وقال السهيلي روى عن علي أنه قال : هو ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه في كل وجه مائة ألف فم في كل فم مائة ألف لسان يسبح الله تعالى بلغات مختلفة . قال السهيلي وقيل المراد بذلك طائفة من الملائكة على صور بني آدم ، وقيل طائفة يرون الملائكة ولا تراهم فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم ، وقوله ( قل الروح من أمر ربي ) أى من شأنه وما استأثر بعلمه دونكم ولهذا قال ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) أى وما أطلعكم من علمه إلا على القليل فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى ، والمعنى أن علمكم في علم الله قليل وهذا الذى تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالى ولم يطلعكم عليه كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى ، وسيأتى إن شاء الله في قصة موسى والحضر أن الحضر نظر إلى عصفور وقع على حافة السفينة فنقر في البحر نقرة أى شرب منه بمنقاره فقال يا موسى ما علمى وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه ولهذا قال تعالى ( وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ) وقال السهيلي قال بعض الناس لم يجهم عماسألوا لأنهم سألوا على وجه التعنت وقيل أجابهم . وعول السهيلي على أن المراد بقوله ( قل الروح من أمر ربي ) أى من شرعه أى فادخلوا فيه وقد علمتم ذلك لأنه لا سبيل إلى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة وإنما ينال من جهة الشرع وفي هذا المسلك الذى طرقه وسلكه نظر والله أعلم . ثم ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس أو غيرها وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر وقرر أن الروح التى ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم فهي إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء ، قال كما أن الماء هو حياة الشجر ثم يكسب بسبب اختلاطه معها اسماً خاصاً فإذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار ماء مصطراً أو خمرًا ولا يقال له ماء حينئذ إلا على سبيل المجاز ، وكذا لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو وكذا لا يقال للروح نفس إلا باعتبار ما تؤول إليه ، فحاصل ما تقول إن الروح هي أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن فهي من وجه لا من كل وجه وهذا معنى حسن والله أعلم . قلت وقد تكلم الناس في ماهية الروح وأحكامه ووصفوا في ذلك كتباً ومن أحسن من تكلم على ذلك الحافظ ابن منده في كتاب سمعناه في الروح

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا وَكِيلًا \* إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا \* قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا \* وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾

يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم ﷺ فيما أوحاه إليه من القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال ابن مسعود رضى الله عنه يطرق الناس ربح حمرأ يعنى فى آخر الزمان من قبل الشام فلا يبقى فى مصحف رجل ولا فى قلبه آية ثم قرأ ابن مسعود ( ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ) الآية ثم نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم وانفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا فإن هذا أمر لا يستطيع وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذى لا نظير له ولا مثال له ولا عدل له وقد روى محمد ابن إسحق عن محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبیر أو عكرمة عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى نفر من اليهود جاءوا رسول الله ﷺ فقالوا له إنا نأتىك بمثل ما جئتنا به فأنزل الله هذه الآية . وفى هذا نظر لأن هذه السورة مكية وسياتها كله مع قريش ، واليهود إنما اجتمعوا به فى المدينة فآله أعلم . وقوله ( ولقد صرفنا للناس ) الآية . أى بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه ومع هذا فأبى أكثر الناس إلا كفورا أى جحودا للحق وردا للصواب

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا \* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلْفًا تَفْجِيرًا أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا \* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾

قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن إسحق حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلا من بني عبد الدار وأبا البختري أخا بني أسد والأسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأميرة بن خلف والعاص بن وائل ونبها ومنها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابشوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك . فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أنه قد بدا لهم فى أمره وكان عليهم حريصا يجب رشدهم ويعز عليه عنهم حتى جلس إليهم ، فقالوا يا محمد : إننا قد بعثنا إليك لتعذرنك وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفقت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقى من قبيح إلا وقد جثته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتىك بما يأتىك رثيا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي - فربما كان ذلك بذلنا أموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بي ماتقولون ، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيقت منا بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير غنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضي من آباءنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قسي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فسألهم عما تقول حق هو أم باطل ؟ فإن صنعت ما سألتك وصدقتك صدقتك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال لهم رسول الله ﷺ « ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » قالوا فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتسأله فيجعل لك جنات وكنوزا وتصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالأسواق وتلتبس المعاش كما نلتمس حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أنا بفاعل ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعث إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك ، فانا لن نؤمن لك إلا أن تفعل . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك » فقالوا يا محمد أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ونطلب منك ما نطلب فيقدم إليك ويعلمك ماتراجعا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم تقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل بالجماعة يقال له الرحمن وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا فقد أعذرتنا إليك يا محمد أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلك أو تهلكنا ، وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله . وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا . فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة ابنة عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوك أن تعجل لهم ما تخوفهم به من العذاب فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بصحيفة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسفا لما فاتته بما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدهم آياه وهكذا رواه زياد بن عبد الله البكائي عن ابن إسحق ححدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس فذكر مثله سواء . وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له لو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشادا لأحيوا إليه ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفرا وعنادا ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئت أعطيناهم ما سألوها فان كفروا عذبهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة فقال: « بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة كما تقدم ذلك في حديثي ابن عباس والزيير بن العوام أيضا عند قوله تعالى (وامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتيناهم ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ) . وقال تعالى ( وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا \* أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا \* انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا \* تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك

قصوراً \* بل كذبوا بالساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً. وقوله تعالى ( حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً )  
الينبوع: العين الجارية سألوه أن يجري لهم عينا معينا في أرض الحجاز ههنا وههنا وذلك سهل على الله تعالى يسير  
لو شاء لفعله ولأجابههم إلى جميع ما سألوها وطلبوا ولكن علم أنهم لا يهتدون كما قال تعالى ( إن الذين حقت  
عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) وقال تعالى ( ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة  
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا ) الآية . وقوله تعالى ( أو تسقط السماء كما زعمت ) أى  
أنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه السماء وتبى وتدلى أطرافها فمعجل ذلك في الدنيا وأسقطها كسفا أى قطعاً كقولهم  
( اللهم إن كان هذا هو الحق من عنائك فأمطر علينا حجارة من السماء ) الآية وكذلك سأل قوم شعيب منه فقالوا  
( أسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين ) فماتهم الله بعدذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ،  
وأما نبي الرحمة ونبي التوبة المبعوث رحمة للعالمين فسأل انظارهم وتأجيلهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد  
لا يشرك به شيئاً وكذلك وقع فإن من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه حتى عبد الله بن أبي أمية  
الذي تبع النبي ﷺ وقال له ما قال أسلم إسلاماً تاماً وأتاب إلى الله عزوجل . وقوله تعالى ( أو يكون لك بيت  
من زخرف ) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة هو الذهب ، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود أو يكون لك بيت من  
ذهب ( أو ترقى في السماء ) أى تصعد في سلم ونحن ننظر إليك ( ولن نؤمن لريك حتى نزل علينا كتاباً نقرؤه )  
قال مجاهد أى مكتوب فيه إلى كل واحد واحد صحيفة هذا كتاب من الله لفلان بن فلان تصبح موضوعة عند رأسه ،  
وقوله تعالى ( قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ) أى سبحانه وتعالى وتقدس أن يتقدم أحد بين يديه في أمر  
من أمور سلطانه وملكوته بل هو الفعال لما يشاء إن شاء أجابكم إلى ما سألتهم وإن شاء لم يجيبكم وما أنا إلا رسول  
إليكم أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وقد فعلت ذلك وأمركم فيما سألتهم إلى الله عزوجل

قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا علي بن إسحق حدثنا ابن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زجر عن علي  
ابن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال « عرض علي ربي عزوجل لي جعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت  
لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً - أو نحو ذلك - فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك  
وشكرتك » ورواه الترمذي في الزهد عن سويد بن نصر عن ابن المبارك به وقال هذا حديث حسن وعلي بن يزيد  
يضعف في الحديث

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا \* قُلْ لَوْ كَانَ  
فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَشْهَوْنَ مَطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكَاتٍ رَسُولًا ﴾

يقول تعالى ( وما منع الناس ) أى أكثرهم ( أن يؤمنوا ) ويتابعوا الرسل إلا استعجابهم من بعثة البشر رسلاً  
كما قال تعالى ( أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند  
ربهم ) وقال تعالى ( ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدونا ) الآية . وقال فرعون وملؤه ( أنؤمن  
لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ؟ ) وكذلك قالت الأمم لرسولهم ( إن أتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد  
آبائنا فأتونا بسلطان مبين ) والآيات في هذا كثيرة ، ثم قال تعالى منها على لطفه ورحمته بعباده أنه يبعث إليهم الرسول  
من جنسهم ليفقهوا عنه ويفهموا منه لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته ولو بعث إلى البشر رسولا من الملائكة لما استطاعوا  
مواجهته ولا الأخذ عنه كما قال تعالى ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ) وقال تعالى ( لقد  
جاءكم رسول من أنفسكم ) وقال تعالى ( كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب  
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون \* فإذا كروني أذ كركم واشكروا لي ولاتكفرون ) ولهذا قال ههنا ( قل لو كان

في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ( أي كما أتم فيها ) لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ( أي من جنسهم . ولما كنتم أتم بشرا بعثنا فيكم رسلا منكم لطفاً ورحمة

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى مرشداً نبيه ﷺ إلى الحجبة على قومه في صدق ما جاءهم به إنه شاهد على وعليكم ، عالم بما جئكم به فلو كنت كاذباً عليه لانتقم مني أشد الانتقام كما قال تعالى ( ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ) وقوله ( إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ) أي علماً بهم بمن يستحق الانعام والإحسان والهداية بمن يستحق الشقاء والاضلال والازاعة ولهذا قال:

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمياً وَبُكماً وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعيراً ﴾

يقول تعالى مخبراً عن تصرفه في خلقه وتفوذ حكمه وأنه لا معقب له بأنه من يهده فلا مضل له ومن يضل فلن تجد لهم أولياء من دونه أي يهدونهم كما قال ( من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً ) وقوله : ( ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ) قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا إسماعيل عن نضيع قال سمعت أنس بن مالك يقول : قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال « الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم » وأخرجاه في الصحيحين وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا الوليد بن جميع القرشي عن أبيه عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد قال : قام أبو ذر فقال يا بني غفار قولوا ولا تخلفوا فإن الصادق المصدوق حدثني أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج ، فوج راكبين طاعمين كاسين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم للملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار ، فقال قائل منهم هذان قد عرفناهما فما بال الدين يمشون ويسعون ؟ قال « يلقى الله عز وجل الآفة على الظهر حتى لا يبقى ظهر حتى إن الرجل لتكون له الحديقة العجبة فيعطها بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها » وقوله ( عمياً ) أي لا يبصرون ( وبكماً ) يعني لا ينطقون ( وصمًّا ) لا يسمعون وهذا يكون في حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكما وعميا وصمعا عن الحق فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه ( مأواهم ) أي منقلبهم ومصيرهم ( جهنم كلما خبت ) قال ابن عباس سكنت ، وقال مجاهد طفئت ( زدناهم سعيراً ) أي لهباً ووهجاً وسجراً كما قال ( فدوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ) .

﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَعِزَّنَا اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

﴿ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾

يقول تعالى هذا الذي جازيناهم به من البعث على العمى والبكم والصمم جزاؤهم الذي يستحقونه لأنهم كذبوا ( بآياتنا ) أي بأدلتنا وحجتنا واستبعدوا وقوع البعث ( وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً ) أي بالية نخرة ( أننا لمبعوثون خلقاً جديداً ) أي بعد ما صرنا إلى ما صرنا إليه من البلى والهلاك والتفرق والذهاب في الأرض نعاد مرة ثانية ؟ فاحتج تعالى عليهم ونبههم على قدرته على ذلك بأنه خلق السموات والأرض فقدرته على إعادتهم أسهل من ذلك كما قال : ( لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ) وقال ( أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يبي

بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ( الآية وقال ) أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم \* إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ( إلى آخر السورة . وقال ههنا ( أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ) أى يوم القيامة يعيد أبدانهم وينشئهم نشأة أخرى كما بدأهم ، وقوله ( وجعل لهم أجلا لا ريب فيه ) أى جعل لاعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلا مضروبا ومدة مقدره لا بد من انقضاءها كما قال تعالى ( وما نؤخره إلا لأجل معدود ) وقوله ( فأبى الظالمون ) أى بعد قيام الحجة عليهم ( إلا كفورا ) إلا تماديا فى باطلهم وضلالهم .

﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾

يقول تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه قل لهم يا محمد لو أنكم أيها الناس تملكون التصرف فى خزائن الله لأمسكتم خشية الإنفاق قال ابن عباس وقتادة أى الفقر أى خشية أن تذهبوها مع أنها لا تفرغ ولا تنفذ أبداً لأن هذا من طباعكم وسجياكم ولهذا قال ( وكان الإنسان قتورا ) قال ابن عباس وقتادة أى بخيلا منوعا ، وقال الله تعالى ( أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا ) أى لو أن لهم نصيبا فى ملك الله لما أعطوا أحدا شيئا ولا مقدار نقيير والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله وهدهاه فان البخل والجور والهلوع صفة له كما قال تعالى ( إن الإنسان خلق هادعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا الصلحين ) ولهذا نظائر كثيرة فى القرآن العزيز ويدل هذا على كرمه وجوده وإحسانه وقد جاء فى الضحيجين « يدالله ملامى لا يغيضا نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فانه لم يغيض ما فى يمينه »

﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّاهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا \* قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرِعَوْنُ مَثْبُورًا \* فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِيزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا \* وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَغِيفًا ﴾

يخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بينات وهى الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون وهى العصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات قاله ابن عباس وقال محمد بن كعب هى اليد والعصا والحس فى الأعراف والطمس والحجر ، وقال ابن عباس أيضا ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة هى يده وعصاه والسنين وقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وهذا القول ظاهر جلي حسن قوى ، وجعل الحسن البصرى السنين وقص الثمرات واحدة وعنده أن التاسعة هى تلفف العصا ما يأنفكون ( فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ) أى ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها كفروا بها وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وما نجحت فيهم ، فكذلك لو أجبنا هؤلاء الذين سألوا منك ما سألوا وقالوا لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا إلى آخرها لما استجابوا ولا آمنوا إلا أن يشاء الله كما قال فرعون لموسى وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات ( إني لأظنك يا موسى مسحورا ) قيل بمعنى ساحر والله تعالى أعلم ، فهذه الآيات التسع التى ذكرها هؤلاء الأمة هى المرادة ههنا وهى المعنى فى قوله تعالى ( وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف — إلى قوله فى تسع آيات — إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين ) فذكر هاتين الآيتين العصا واليد وبين الآيات الباقيات فى سورة الأعراف وفصلها . وقد أوتى موسى عليه السلام آيات

آخر كثيرة منها ضربه الحجر بالعصا وخروج الماء منه ومنها تظليلهم بالعمام وإنزال المن والسوى وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ولكن ذكر ههنا التسع الآيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفرا وجحودا . فأما الحديث الذي رواه الإمام حدثنا يزيد حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي رضى الله عنه قال : قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآيات ( ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ) فقال لا تقل له نبي فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين فسألاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تشرکوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحرروا ولا تأكلوا الربا ولا تعشوا يريء إلى ذى سلطان ليقته ولا تقذفوا محصنة - أو قال لا تفروا من الزحف شعبة الشاك - وأتم يهود عليكم خاصة أن لاتعدوا في السبت » فقبلا يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبي قال « فما يمنعكما أن تتبعاني ؟ » قال لأن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبي وإنما نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود . فهذا حديث رواه هكذا الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن جرير في تفسيره من طرق عن شعبة بن الحجاج به وقال الترمذى حسن صحيح . وهو حديث مشكل وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء وقد تكلموا فيه ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات فانها وصايا في التوراة لاتعلق لها بقيام الحجة على فرعون والله أعلم ، ولهذا قال موسى لفرعون ( لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ) أى بجبجا وأدلة على صدق ما جئتك به ( وإنى لأظنك يافرعون مشبوراً ) أى هالكا قاله مجاهد وقتادة ، وقال ابن عباس ملعونا ، وقال أيضا هو والضحاك ( مشبوراً ) أى مغلوبا والمالك كما قال مجاهد يشمل هذا كله قال الشاعر :

إذا جارى الشيطان فى سنن الع \* ي ومن مال ميله مشبور

وقرأ بعضهم برفع التاء من قوله علمت وروى ذلك عن علي بن أبي طالب ولكن قراءة الجمهور بفتح التاء على الخطاب لفرعون كما قال تعالى ( فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ) الآية فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هي ما تقدم ذكره من العصا واليد والسنين وقصص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود الفاعل المختار الذي أرسله ، وليس المراد منها كما ورد في هذا الحديث فان هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه وأى مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون ؟ وما جاء هذا الوهم إلا من قبل عبد الله ابن سلمة فإن له بعض ما ينكر والله أعلم . ولعل ذلك اليهوديين إنما سألا عن العشر الكلمات فاشتبه على الراوى بالتسع الآيات فحصل وهم في ذلك والله أعلم وقوله ( فأراد أن يستفزهم من الأرض ) أى يخلبهم منها ويزيلهم عنها ( فأغرقتهم ومن معه جميعاً وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض ) وفي هذا بشارة لمحمد ﷺ بفتح مكة مع أن السورة مكية نزلت قبل الهجرة وكذلك وقع فإن أهل مكة هموا بإخراج الرسول منها كما قال تعالى ( وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ) الآيتين ولهذا أورد الله رسوله مكة فدخلها عنوة على أشهر القولين وقهر أهلها ثم أطلقهم حملا وكرما كما أورد الله القوم الذين كانوا يستضعفون من بنى إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها وأورثهم بلاد فرعون وأمواهم وزروعهم وثمارهم وكنوزهم كما قال كذلك وأورثناها بنى إسرائيل وقال ههنا ( وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لقيفاً ) أى جميعكم أتم وعدكم ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك : لقيفاً أى جميعاً

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ

عَلَىٰ مُكْتَبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿

يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد إنه بالحق نزل أى متضمنا للحق كما قال تعالى ( لکن الله يشهد بما أنزل إليك أنه بعلومه والملائكة يشهدون ) أى متضمنا علم الله الذى أراد أن يطلعكم عليه من أحكامه وأمره ونهيه وقوله ( وبالحق نزل ) أى ونزل إليك يا محمد محفوظا محروسا لم يشب بغيره ولا زيد فيه ولا نقص منه بل وصل إليك بالحق فإنه نزل به شديد القوى الأمين المسكين اللطاع فى الملاء الأعلی وقوله ( وما أرسلناك ) أى يا محمد ( إلا مبشرا ونذیرا ) مبشرا لمن أطاعك من المؤمنین ونذیرا لمن عصاك من الكافرين ، وقوله ( وقرآنا فرقناه ) أما قراءة من قرأ بالتخفيف فمعناه فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفرقا منجما على الوقائع إلى رسول الله ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة ، قاله عكرمة عن ابن عباس . وعن ابن عباس أيضا أنه قرأ فرقناه بالتشديد أى أنزلناه آية مبینا مفسرا ولهذا قال ( لتقرأ على الناس ) أى لتبلغه الناس وتتلوه عليهم أى ( على مكث ) أى مهل ( ونزلناه تنزیلا ) أى شيئا بعد شيء

﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا \* وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا \* وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾

يقول تعالى لنبى محمد ﷺ ( قل ) يا محمد لهؤلاء الكافرين بما جنتهم به من هذا القرآن العظيم ( آمنوا به أولا تؤمنوا ) أى سواء آمنتم به أم لا فهو حق فى نفسه أنزله الله ونوه بذكره فى سالف الأزمان فى كتبه المنزلة على رسله ، ولهذا قال ( إن الذين أوتوا العلم من قبله ) أى من صالحى أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابهم وقيمونه ولم يبدلوه ولا حرفوه ( إذا تلى عليهم ) هذا القرآن ( يخرون للأذقان ) جمع ذقن وهو أسفل الوجه ( سجدا ) أى لله عز وجل شكرا على ما أنعم به عليهم من جعله إياهم أهلا إن أدركوا هذا الرسول الذى أنزل عليه هذا الكتاب ، ولهذا يقولون ( سبحان ربنا ) أى تعظيما وتوقيرا على قدرته التامة وأنه لا يخلف الميعاد الذى وعدهم على السنة الأنبياء المتقدمين عن بعثة محمد ﷺ ولهذا قالوا ( سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ) وقوله ( ويخرون للأذقان يكون ) أى خضوعا لله عز وجل وإيمانا وتصديقا بكتابه ورسوله ( ويزيدهم خشوعا ) أى إيمانا وتسليما كما قال ( والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ) وقوله ( ويخرون ) عطف صفة على صفة لا عطف السجود على السجود كما قال الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام \* وليث السكتية فى المزدهم

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعَاؤَ اللَّهِ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَّلِيٌّ مِّنَ الدَّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء الشركين المنكرين صفة الرحمة لله عز وجل اللانعين من تسميته بالرحمن ( ادعوا الله أودعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ) أى لافرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم الرحمن فإنه ذو الأسماء الحسنى كما قال تعالى ( هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم - إلى أن قال - له الأسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والأرض ) الآية ، وقد روى مكحول أن رجلا من المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول فى سجوده « يا رحمن يا رحيم » فقال إنه يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو اثنين فأنزل الله هذه الآية ، وكذا روى عن ابن عباس رواها ابن جرير ، وقوله ( ولا تجهر بصلاتك ) الآية . قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار

بمكة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به قال : فقال الله تعالى لنبيه ﷺ (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبون القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك (وابتغ بين ذلك سبيلا) أخرجه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن إياس به ، وكذا رواه الضحاك عن ابن عباس وزاد فلما هاجر إلى المدينة سقط ذلك يفعل أى ذلك شاء ، وقال محمد بن إسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلى استرق السمع دونهم فرقا منهم فإذا رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يسمع فإن خفض صوته ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا فأنزل الله (ولا تجهر بصلاتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمع ممن يسترق ذلك منهم فاعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فينتفع به (وابتغ بين ذلك سبيلا) وهكذا قال عكرمة والحسن البصرى وقتادة نزلت هذه الآية في القراءة في الصلاة ، وقال شعبة عن أشعث بن سلمة عن الأسود بن هلال عن ابن مسعود (ولا تخافت بها) من أسمع أذنيه قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علي عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته وأن عمر كان يرفع صوته فليل لأبي بكر لم تصنع هذا ؟ قال أناجى ربي عز وجل وقد علم حاجتي ، فليل لعمر لم تصنع هذا ؟ قال أطرده الشيطان وأوقظ الوسنان ، قيل أحسنت فلما نزلت (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وابتغ بين ذلك سبيلا) قيل لأبي بكر ارفع شيئا ، وقيل لعمر اخفض شيئا ، وقال أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس نزلت في الدعاء ، وهكذا روى الثوري ومالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها نزلت في الدعاء وكذا قال مجاهد وسعيد ابن جبير وأبو عياض ومكحول وعروة بن الزبير ، وقال الثوري عن ابن عياش العامري عن عبد الله بن شداد قال كان أعرابي من بني تميم إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال « اللهم ارزقني إبلا وولداً » قال فنزلت هذه الآية (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (قول آخر) قال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص بن غياث عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها نزلت هذه الآية في التشهد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وبه قال حفص عن أشعث بن سوار عن محمد بن سيرين مثله (قول آخر) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال لا تصل مراة للناس ولا تدعها محافة الناس ، وقال الثوري عن منصور عن الحسن البصرى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال لا تحسن علانيتها وتسيء سريرتها وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن الحسن به وهشام عن عوف عنه به وسعيد عن قتادة عنه كذلك (قول آخر) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وابتغ بين ذلك سبيلا) قال أهل الكتاب يخافتون ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصيح به ويصيحون هم به وراءه فنهأ أن يصيح كما يصيح هؤلاء وأن يخافت كما يخافت القوم ثم كان السبيل الذي بين ذلك الذي سن له جبريل من الصلاة . وقوله (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) لما أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى نزه نفسه عن النقائص فقال (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك) بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (ولم يكن له ولي من الدن) أى ليس بذليل فيحتاج إلى أن يكون له ولي أو وزير أو مشير بل هو تعالى خالق الأشياء وحده لا شريك له ومدبرها ومقدرها بمشيئته وحده لا شريك له قال مجاهد في قوله (ولم يكن له ولي من الدن) لم يخالف أحدا ولم يبتغ نصر أحد (وكبره تكبيراً) أى عظمه وأجله عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً ، قال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن القرظي انه كان يقول في هذه الآية (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) الآية قال إن اليهود والنصارى قالوا اتخذ الله ولداً وقالت العرب : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . وقال الصابئون والمجوس لولا أولياء

الله لئلا فأنزل الله هذه الآية (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً) وقال أيضاً حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أهله هذه الآية (الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) الآية ، الصغير من أهله والكبير . قلت وقد جاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى هذه الآية آية العز وفي بعض الآثار أنها ماقرئت في بيت في ليلة فيصيه سرق أو آفة والله أعلم ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا بشر بن سيجان البصرى حدثنا حرب بن ميمون حدثنا موسى بن عبيدة الزبيدي عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال خرجت أنا ورسول الله ﷺ ويده في يدي أو يدي في يده فأتى على رجل رث الهيئة فقال « أي فلان ما بلغ بك ما أرى ؟ » قال السقم والضر يارسول الله قال « ألا أعليك كلمات تذهب عنك السقم والضر ؟ » قال بلى ، مايسرنى أن شهدت بها معك بدرا أو أحدا ، قال فضحك رسول الله ﷺ وقال « وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع ؟ » قال: فقال أبو هريرة يارسول الله إياي فعلتني قال « فقل يا أبا هريرة نوكلت على الحى الذى لا يموت ، الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً » قال فأتى على رسول الله وقد حسنت حالى قال : فقال لى « مهمم » قال قلت يا رسول الله لم أزل أقول الكلمات التى علمتني ، إسناده ضعيف وفي متنه نكارة والله أعلم . آخر تفسير سورة سبحان والله الحمد والمنة .

### ﴿ تفسير سورة الكهف وهى مكية ﴾

﴿ ذكر ما ورد في فضلها والعشر الآيات من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت البراء يقول : قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيت فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « اقرأ فلان فانها السكينة تنزل عند القرآن أو تنزلت للقرآن » أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به وهذا الرجل الذى كان يتلوها هو أسيد بن الحضير كما تقدم في تفسير سورة البقرة . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان ابن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذى من حديث قتادة به ، ولفظ الترمذى « من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف » وقال حسن صحيح ، (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » ورواه مسلم أيضاً والنسائي من حديث قتادة به ، وفي لفظ النسائي « من قرأ عشر آيات من الكهف » فذكره ، (حديث آخر) وقد رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد عن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف فإنه عصمة له من الدجال » فيحتمل أن سالما سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء وقال أحمد حدثنا حسين حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبائن بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين السماء والأرض » انفرد به أحمد ولم يخرجوه ، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره بإسناد له غريب عن خالد ابن سعيد بن أبي مريم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين » وهذا الحديث في رفعه نظر وأحسن أحواله الوقف . وهكذا روى الإمام سعيد بن منصور في سننه عن هشيم بن بشير عن أبي هاشم عن أبي مجاز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق . هكذا وقع موقوفاً ، وكذا رواه الثورى عن أبي هاشم به من حديث أبي سعيد الخدرى